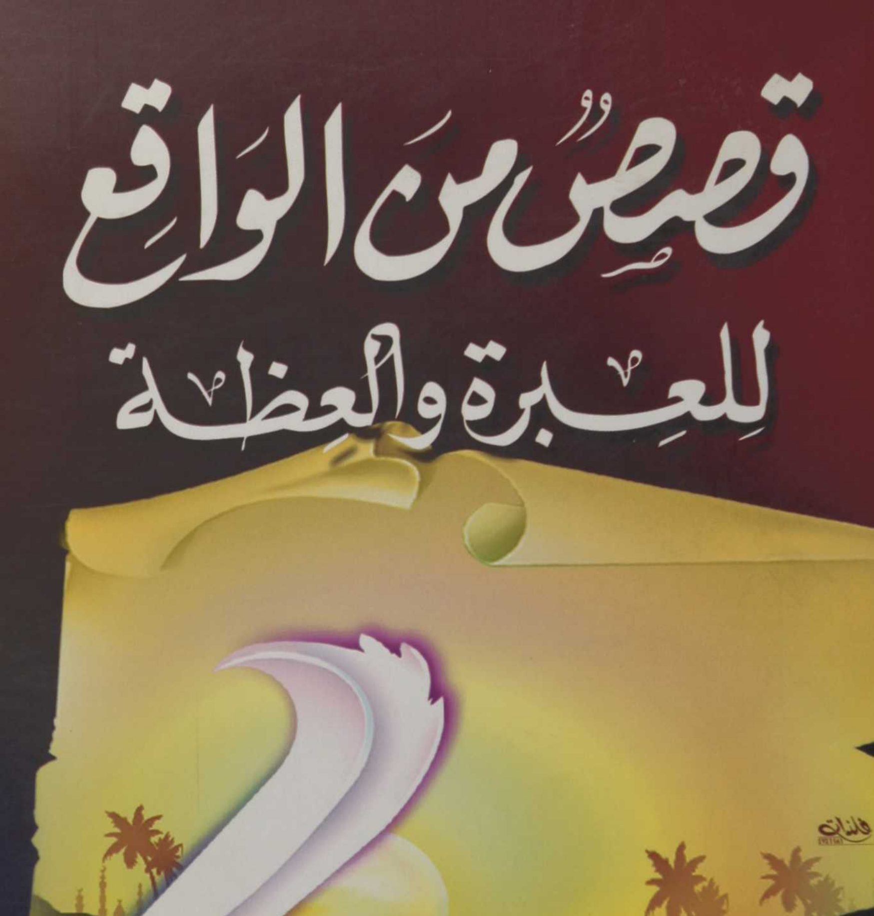


د/ فهد بن حمود العصيمي

دار ابن خزيمة

قصص من الواقع

للعبرة والموعظة

ⓒ دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ١٤٢٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العصيمي، فهد بن حمود
قصص من الواقع للعبرة والعظة. فهد بن حمود العصيمي
الرياض، ١٤٢٤هـ
... ص، ... سم
ردمك: ٨ ـ ٦٨ ـ ٨٨٩ ـ ٩٩٦٠
١ ـ الوعظ والإرشاد - قصص أ ـ العنوان
ديوي ٢١٣ ٣٨٦٠/ ١٤٢٤

رقم الإيداع: ٣٨٦٠/ ١٤٢٤
ردمك: ٨ ـ ٦٨ ـ ٨٨٩ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الرياض، الملز

شارع الإحساء، غرب حديقة الحيوان

هاتف: ٤٧٦٩٩٣٢/٤٧٣٠٧٨٨ فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥

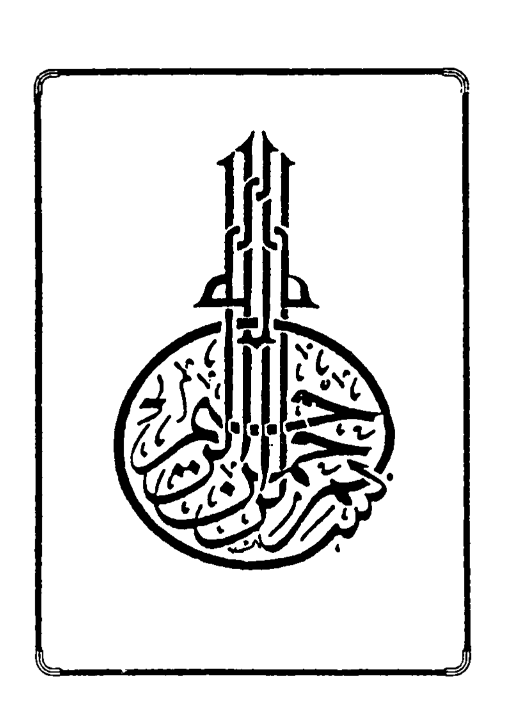
ص.ب ٢٧٩٧١ الرمز البريدي: ١١٤٢٧

قصص من الواقع

للعبرة والموعظة

د/ فهد بن حمود العصيمي

دار ابن خـــزيمة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فهذه مجموعة قصصية تحكي واقعًا مأساويًا لأصحابها، وقد جمعت معظمها من «الشبكة العالمية» على ذمة من كتبها.

ولا شك أن في مثل هذه القصص عبرة وعظة لمن في قلبه أدنى إيمان، خاصة لمن ابتلي بمثل ما ابتلى به أصحاب هذه القصص، «والسعيد من وعظ بغيره»، «ولا تنظر إلى الهالك كيف هلك، ولكن انظر إلى الناجي كيف نجا»، لا نشك أن الغزو الفكري والتسميم الإعلامي وانعدام الوازع الديني وتساهل رب الأسرة، من أب وأم، وترك الحبل على الغارب، والصحبة السيئة، وخروج النساء للأسواق مع السائقين، وعدم مراقبة التليفون من قبل الأب والأم، وإدخال الدشوش في المنزل، وعدم مراقبته وتركه في متناول المراهقين والمراهقات، وكذلك عدم مراقبة الفيديو وما يعرض به حيث الأفلام الساقطة قد يتبادلها الشباب والشابات من حيث لا يعلم الأبوان، كل ذلك وغيره أفرز مثل هذه القصص المخيفة على مستقبل أجيالنا الصاعدة، ولعلها توقظ غافلاً، وترد شاردًا، وتصلح معوجًا، وتردم بيتًا كاد أن يسقط على رؤوس أهله، كما آمل من رجال الإعلام والمؤسسات الشرعية ورجال التربية والتعليم أن يجعلوا هذه القصص وغيرها نصب أعينهم وهم يقومون بواجبهم في توجيه الناس، قال ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»، إن أريد إلا الإصلاح، وصلى الله على رسولنا محمد، وآله أجمعين..

د. فهد العصيمي

تاجر تمرد على الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

قرأت القصة وأحببت أنكم تشاركوني قراءتها لما فيها من موعظة..

ولقد قرأت منذ زمن قصة رجل ثري، حدث له مثل هذا الذي نقوله، ولكن النهاية كانت هي الأعجب.. لقد أصيب بمرض عضال، وتردد على مشافي كثيرة في بلدان مختلفة، من بلاد العالم وفي كل مرة لا يرى فائدة تذكر، بل إنه يحس أن الأمر يستفحل مع الأيام، ويحدث أن يقال له بملء الفم: بحسابات الطب التي نملكها، فإنه لا أمل في شفائك، ولقد أصبحت أيامك في دنيا الناس معدودة، لا تتعدى الشهرين أو الثلاثة، فبقاؤك بين أهلك وأحبائك خير لك.. وجحظت عينا الرجل، وارتعشت كل خلية فيه، وانتصبت كل شعرة في جسده تنتفض مذعورة، ولما أيقن بما أخبروه، عاد إلى بلده منهاراً محطماً، يحمل نفسه في جهد، وفي رأسه تثور عشرات الآلاف من الخواطر والأفكار والأسئلة، ولأن الأمر جدٌّ ولا مجال للمزاح فيه، فقد بقي يخبط يداً بيد، ويضرب أخماساً في أسداس، ثم لمعت في رأسه فكرة، فرح لها كل الفرح، وما إن وضع عصى الترحال في بيته، حتى بادر يستدعي محاميه الخاص إلى مكتبه، وأغلق في إحكام الباب من ورائه، ثم شرع يملي عليه وصيته العجيبة الغريبة: تبرعات سخية لأطفال أفريقيا، ومثلها لأطفال فلسطين، ومشاريع خيرية في هذا البلد

وذاك، وصدقات وزكوات، وملايين يذكرها ويوزعها، والمحامي يكتب في ذهول وعجب ودهشة، وكلما حاول أن يتكلم، زجره صاحبه قائلاً: لقد أيقنت أنني مودّع هذه الدنيا، وأريد أن أغتسل من ذنوبي وما أكثرها.. ثم شرع يقسّم بقية ميراثه على ورثته! كل ذلك على الورق، ولذا طلب من محاميه أن لا ينفذ شيئًا من هذا إلا بعد موته، ومن يومها انقلبت حياة الرجل رأسًا على عقب، لم تعرف رجلاه منذ ذلك اليوم سوى طريق المسجد، وأصابعه لا تزال تدير مسبحته الطويلة، على مدار الأنفاس، حتى كلامه، أصبح معدودًا محسوبًا موزونًا، لا يدور لسانه إلا بذكر أو تذكير، أو نصح أو إرشاد ووعظ ونحو ذلك.. وكلما حاول أهله وذووه أن يثنوه، ازداد إصرارًا، ومع إصراره ازداد شحوبًا، وتمضي الأيام والرجل يكاد يكون من العبَّاد القلائل في مدينته، كان أول الداخلين إلى المسجد، وآخر الخارجين منه، كثير الاعتكاف، غزير الدمعة.. ومع كل يوم يموت بعضه، ومع نهاية كل ليلة، يكون قد انتصب فزعًا في جوف الظلام يبكي وينوح على نفسه.. ويمرُّ الشهر ووراءه الشهر، وفي الشهر الثالث يتضح لك أن الرجل قد أصبح من أبناء الآخرة!!

ولما انقضى الشهر بكله، ثم تتابعت أيام من الشهر التالي، ورأى أنه لا يزال في كامل عافيته، برقت عيناه، وانعقد لسانه، وفغر فاه، وأشرق أمل جديد في صدره، وظل يترقب الأيام الجديدة، ومضت أسابيع، فإذا هو يصيح لاعنًا الطب والأطباء، وسارع يخلع ثياب الزهد والعبادة، ودعا صحبته القديمة ـ التي كان قد طلقها ـ وقبل ذلك كان قد دعا محاميه، ومزَّق تلك الوصية وهو يقهقه ساخرًا ولاعنًا.. وقرر أن يعوَّض كل تلك

الأيام بسهرة لم يسهر مثلها إنسان! واجتمع لفيف من صعاليك الأرض، ليس لهم هم إلا بطونهم وشهواتهم، وكانت ليلة أشبه ما تكون بليالي ألف ليلة وليلة المسطرة في الكتب.. وعلى المائدة الكبيرة، ووسط روائح الخمور وعطور الغانيات، و... و... يُقبل الرجل يأكل بشراهة وفي نهم، غير أنه لم يكد يمضغ لقيمات حتى خرَّ صريعًا ميتًا وسط هذه الزينات، وهذا الصخب والضجيج!

يا لله...! ماذا تفعل الحماقة بأصحابها! لقد كان ـ فيما يبدو ـ على باب الجنة ليس بينه وبينها إلا ساعات، ولكن الشقاوة أبت عليه إلا أن ينحرف عن الطريق عند آخر محطة..! نسأل الله العفو والعافية لنا ولجميع المسلمين والمسلمات.. والفكرة كلها هي: كيف أنَّ هذا الرجل، قد انقلبت حياته كلها، حين أخبره طبيب (مخلوق) بأنه على وشك أن يموت.. ونحن يخبرنا الخالق عزَّ وجلَّ في محكم آياته، أننا على وشك أن نغادر هذه الحياة الدنيا، في أية لحظة، ثم نحن لا نتأثر أبدًا؟!

أترانا لا نؤمن بالله وبما أنزل من كتاب ـ وإن كنا ندَّعي ذلك ـ أم أنها مجرد غفلة بلغت بنا حد الحماقة؟

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يومًا على آلة حدباء محمولُ

إني أشم رائحة الجنة

ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله** ـ وذكر منهم ـ **شابًا نشأ في طاعة الله**».

وثبت عن أنس بن النضر رضي الله عنه قال ـ يوم أحد ـ: «واهًا لريح الجنة، إني لأجد ريحها من وراء أحد».

حدثني الدكتور قائلاً:

اتصل بي المستشفى وأخبروني عن حالة خطيرة تحت الإسعاف.. فلما وصلت إذا بالشاب قد توفي رحمه الله.. ولكن ما هي تفاصيل وفاته.. فكل يوم يموت المئات بل الآلاف.. ولكن كيف تكون وفاتهم؟!! وكيف خاتمتهم؟!

أصيب هذا الشاب بطلقة نارية عن طريق الخطأ، فأسرع والداه جزاهما الله خيرًا به إلى المستشفى العسكري بالرياض، ولما كانا في الطريق التفت إليهما الشاب وتكلم معهما! ولكن!! ماذا قال؟! هل كان يصرخ ويئن؟! أم كان يقول أسرعوا بي للمستشفى؟! أم كان يتسخط ويشكوا ؟! أم ماذا؟! يقوله والده: كان يقول لهما لا تخافا!! فإني ميت.. واطمئنا.. فإني أشم رائحة الجنة.. ليس هذا فحسب، بل كرر هذه الكلمات الإيمانية عند الأطباء في الإسعاف.. حيث حاولوا وكرروا المحاولات لإسعافه.. فكان

يقول لهم: يا إخواني إني ميت لا تتعبوا أنفسكم.. فإني أشم رائحة الجنة.. ثم طلب من والديه الدنو منه وقبلهما وطلب منهما السماح وسلم على إخوانه ثم نطق بالشهادتين!!

أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ثم أسلم روحه إلى بارئها سبحانه وتعالى. الله أكبر! ماذا أقول.. وبم أعلق.. أجد أن الكلمات تحتبس في فمي.. والقلم يرتجف في يدي.. ولا أملك إلا أن أردد وأتذكر قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. ولا تعليق عليها.

ويواصل محدثي فيقول: أخذوه ليغسلوه، فغسله الأخ ضياء مغسل الموتى بالمستشفى، وكان أن شاهد هو الآخر عجبًا! كما حدثه بذلك في صلاة المغرب من نفس اليوم!!

أولاً: رأى جبينه يقطر عرقًا. قلت: لقد ثبت عن رسول الله ﷺ أن المؤمن يموت بعرق الجبين، وهذا من علامات حسن الخاتمة.

ثانيًا يقول: كانت يداه لينتين وفي مفاصله ليونة كأنه لم يمت وفيه حرارة لم أشهدها من قبل فيمن أغسلهم!! ومعلوم أن الميت يكون جسمه باردًا وناشفًا ومتخشبًا.

ثالثًا: كانت كفه اليمنى في مثل ما تكون في التشهد قد أشار بالسبابة للتوحيد والشهادة وقبض بقية أصابعه.. سبحان الله.. ما أجملها من خاتمة نسأل الله حسن الخاتمة.

أحبتي: القـصة لم تنته بعد!! سأل الأخ ضيـاء وأحد الأخوة والده عن ولده وماذا كان يصنع؟ أتدري ما هو الجواب؟!

أتظنه أنه كان يـقضي ليله متـسكعًا في الشوارع أو رابضًـا عند القنوات الفضـائية والتلفـاز يشاهد المحرمـات.. أم يغطُّ في نوم عمـيق حتى عن الصلوات.. أم مع شلل الخمـر والمخدرات والدخان وغيـرها؟! أم ماذا يا ترى كان يصنع؟! وكيف وصل إلى هـذه الخاتمة التي لا أشكُّ أخي القارئ أنك تتمنانها.. أن تموت وأن تشم رائحة الجنة!

قال والده: لقـد كان غالبًـا ما يقوم اللـيل.. فيصلي مـا كتب الله له، وكان يوقظ أهل الـبيت كلهم ليشـهدوا صـلاة الفجر مع الجـماعـة وكان محافظًا على حفظ القرآن.. وكان من المتفوقين في دراسته الثانوية..

قلت: صدق الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

[كتاب قصص واقعية للدكتور خالد الجبير]

فتاة مجروحة

تقول الفتاة ليتني ما زلت طفلة.. ليت سنوات عمري توقفت عند الثامنة أو التاسعة.. ولم تزد، حيث اللعب والمرح والتمرغ في أحضان الوالدين.. لكنني كبرت وكبرت معي أحلامي وتخيلاتي وكأي امرأة.. وكأي أنثى بدأت أفكر في فتى الأحلام الذي سوف يأتي ليصحبني معه إلى عش الزوجية.. لبناءأسرة بين بين جدران الحب والرحمة.. ولم يطل الوقت، فلقد جاء الفارس المنشود.. هل هو ذو دين وخلق؟ لا.. تقول: جاء رجل ذو مركز مرموق، ومن عائلة ذات حسب ونسب، رجل فيه كل الصفات التي تحلم بها كل فتاة في عمري.. بماذا يحلمن الفتيات؟ بالأموال.. والبيت الفاخر.. والأثاث المرفه.. والسيارة الجميلة.. إلخ. ولكنهن لا يحلمن برجل يخاف الله ويتقيه، وله أخلاق وإن كان فقيراً.. تقول: وخُطبت إليه وأيام الخطبة من أخطر أيام الزواج، وتساهل أولياء الأمور والمخطوبة في هذه الأيام قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.. ازدادت محبتي له، فلقد وجدته مرحًا لطيفًا، ولم ألاحظ عليه ما يعيب.. وغمرتني الفرحة.. وحلقت بي السعادة.. وطارت عصافير أحلامي مغردة سعيدة بهذا الفارس.. ومرَّت الأيام والشهور.. وصرت له زوجة.. ولم يلبث أن سقط القناع الذي كان فارس أحلامي المنشود يرتديه طيلة تلك الفترة، لقد اتضحت حقيقته كاملة.. وراء ستار أكاذيبه الملونة، ولكن بعد فوات الأوان، وبعدما نام أبي عن السؤال عنه!!

اكتشفت. . ويا هول ما اكتشفت أن زوجي سكير عربيد من الدرجة الأولى، وأنه قد اعتاد إدمان الزمهرير منذ أمد طويل، كان زوجي يشرب خارج البيت، ويأتي إلى المنزل، وهو يترنح يسقط ويقوم. . يشتم ويلعن. . يسب ويجرح. . ويقلب الدنيا رأسًا على عقب. . وبلا سبب هذا شأن السكارى إذا فقدوا العقل. . ثم صار زوجي يحضر الزمهرير إلى البيت، يحضر الخمر إلى البيت، يطلب مني أن أهيئ له مستلزمات القعدة. . ولم يكتف بذلك بل صار يأمرني أن أشاركه وأشرب معه هذا المسكر كي أنتشي وينتشي، ولما كنت أمقت الخمر وأخاف الله رفضت بشدة. . وكان نصيبي منه الضرب المبرح والسباب والشتم والتجريح. . ويظل زوجي يشرب لساعات وبعد أن يفقد عقله يلج إلى غرفة النوم وهو يترنح والشرر من عينيه يتطاير. . لا أستطيع أن أتحدث عمّا كان يحدث في غرفة النوم من سكير عربيد. . هل أقول لكم بشاعة؟ هل أقول لكم دناءة؟ هل أقول لكم حقارة؟ هل أقول لكم وحشية؟ كل هذا كان يحصل في غرفة النوم من هذا السكير. .

كل الكلمات تعجز عن وصف ما يحدث. . ولكن لكم أن تتخيلوا وحشًا كاسرًا يريد أن يفتك بحمل وديع. . بل أقول، والله يشهد على ما أقول أن الوحش الكاسر أكثر إنسانية وحضارة منه، وليت زوجي اكتفى بهذا العذاب اليومي. . وليته اكتفى بأن يحضر الخمر ويأمرني أن أشرب معه لا. . بل أصبح يحضر الخمر ويحضر أصحابه السكارى معه إلى البيت، ليشاركوه معاقرة الخمر، ويطلب مني أنا زوجته. . أنا عرضه. . أنا شرفه. . أنا من ستكون أم أبنائه وبناته، أن أقوم بخدمة هؤلاء السكارى،

وأقدم لهم الخمر، الذين كانوا يلتهمونني بنظراتهم الحيوانية الجائعة دون خجل من صديقهم الذي فتح لهم باب بيته، ولكن أنَّى للسكارى أن يخجلوا.

كان زوجي يشرب كثيرًا، وكانوا هم يتعمدون زيادة العيار له، فيرتمي بينهم جثة هامدة لا حراك فيها، ولا حركة لها، لكي يخلو الجو لهم، فيقوموا بملاحقتي في بيتي، وعشي ومأمني، يقومون بمطاردتي من غرفة إلى غرفة، ومن مكان إلى مكان، فكنت أهرب من أمامهم، وكل أعضائي ترتجف من الخوف، أحاول الصراخ فأجد صوتي قد احتبس من شدة الذعر، أقذفهم بالصحون والسكاكين بالمطبخ وما تقع يدي عليه، ثم لا أجد ملاذًا ولا أجد مهربًا ولا أجد مكانًا أختبئ فيه إلا الحمام أنام فيه حتى يطلع الصباح وما زال الذعر يجتاحني كلما تذكرت تلك اللحظات المرعبة، وما زالت أطرافي حتى هذه الساعة ترتجف رعبًا وفزعًا وها هي دموعي تنهمر فوق الورق وأنا أكتب هذه السطور ذلك التاريخ الأسود الحافل بكل المآسي..

لقد حاولت الهرب من جحيم الزوجية، ولكن إلى أين أذهب، إن أهلي لن يصدقوا قصتي.. لن يصدقوا أبدًا أن الرجل الفلاني ابن الرجل الفلاني سليل الأسرة الفلانية الذي أبوه يملك الملايين، لين يصدقوا أنه فعل هذه الأفاعيل، لن يصدقوا أن الرجل ذو المركز المرموق هو نفسه هذا الوحش عديم الشرف والضمير.. ماذا أفعل؟

وأخيرًا: اتجهت إلى الملاذ الأخير.. اتجهت بكل كياني إلى الله.. تضرعت إليه ودموعي تنهمر كالسيل الجارف في كل لحظة، ودعوته من كل

أعماق قلبي، أن يخلصني من هذا العذاب، وأن يريحني من هذا الوحش، وأن يحميني من أصحابه الذئاب، وقد استجاب ربي الكريم لدعائي، وتم طلاقي منه بعد عناء طويل، وقد خرجت من حياته، وقد حفرت سنوات الجحيم أخاديد في وجهي من البؤس والشقاء، وزرعت في قلبي جراحًا ما زالت حتى هذه اللحظة تنزف قيحًا ودمًا.. وتنزف حقدًا لا يستطيع كل أطباء العالم أن ينتزعوه من داخلي.

دخلت إلى بيته، وأنا زهرة يانعة.. وخرجت بعد أربع سنوات وأنا عجوز في الثمانين.. لقد كرهت الحياة.. وكرهت الرجال.. وتمنيت الموت كثيرًا.. ويشهد الله أني أخفيت عن كل الناس حقيقة زوجي الكاملة وراء قناع الخديعة.. ولم أبح بسري لأي إنسان كان، وما زلت أدعو له بالهداية، وهوالذي خيب كل آمالي وقتل كل أحلامي.

ولقد خرجت من جحيم زوجي إلى جحيم آخر أشد وأنكى خرجت من جحيمه بفضل ربي الكريم، ولكنني أعيش جحيمًا آخر.. جحيم العنوسة.. فها هي الألسن تلوك سيرتي.. وها هي الذئاب تنصف الفخاخ من حولي، ظانين أنني صيدة سهلة.. إنني أدعو الله أن يأخذني إليه لكي أرحل من هذا العالم المتوحش..!!

هذه صرخة فتاة نوجهها لأولياء الأمور حتى يقفوا عند حدهم، ويعرفوا من يختارون لبناتهم، فهذه أعراضهم لماذا يبيعونها من أجل حفنة دنانير. قد يموت الأب ويترك هذه الثروة ليعبث بها أولاده، ولا يترحمون عليه، لماذا يهمل الآباء السؤال عمن تقدم لهم، السؤال عن دينه وأخلاقه، لماذا

إذا رأوا أموال المتقـدم تتخدر عقولهم وتنصـاع خلف الخاطب ذي الحسب والنسب، الذي قد يعـبث بعرضهم؛ ويجـعلها مهـانة غير مـصانة، على أولياء الأمور؛ أن يتقوا الله في بناتهم فلذات أكبادهم، وينتقوا لهم الأخيار إن كانوا فقـراء، فهم الذين يسعدون بناتهم في الدنيـا بالقناعة، ويهدونهم الطريق السليم إلى الدار الآخرة.

* * *

موعد غلام مع الحور

كان بمدينة رسـول الله ﷺ رجل يقال له أبو قـدامة الشامي، وكـان قد حبب الله إليه الجهاد في سبيل الله والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يومًا في مسجد رسول الله ﷺ يتحدث مع أصـحابه، فقالوا له: يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيت في الجهاد؟ فـقال أبو قدامة: نعم، إني دخلت في بعض السنين الرقة أطلب جملاً أشتريه ليحـمل السلاح، فبينما أنا يومًا جالسًا إذ دخلت علي امرأة فقـالت: يا أبا قدامة، سمعتك وأنت تحـدث عن الجهاد وتحث عليه، وقـد رزقتُ من الشَّعر مـا لم يُرزقه غيري في النسـاء، وقد قصـصته وأصـلحت منه شكالاً للفرس وعـفرته بالتراب كي لا يـنظر إليه أحد، وقـد أحببـت أن تأخذه معك فـإن صرتَ في بلاد الكفـار وجالت الأبطال ورُميت النبال وجردت السيوف وشرعت الأسنَّة، فإن احتجت إليه وإلا فادفعـه إلى من يحتاج إليه ليـحضر شعري ويصـيبه الغبـار في سبيل الله، فأنا امرأة أرملة كان لي زوج وعصبة؛ كلهم قتلوا في سبيل الله، ولو كان عليَّ جهاد لجاهدت.

وناولتني الشكال، وقـالت: اعلم يا أبا قدامة أن زوجي لمـا قُتل خلف لي غلامًا من أحـسن الشباب وقد تعلم القرآن والفروسـية والرمي على القوس، وهو قوام بالليل صوَّام بالنهار، وله من العمر خمس عشرة سنة، وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه فلعله يقدم قـبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى الله

عزَّ وجلَّ، وأنا أسألك بحرمة الإسلام، لا تحرمني ما طلبت من الثواب.

فأخذت الشكال منها فإذا هو مظفور من شعرها، فقالت: ألقه في بعض رحالك، وأنا أنظـر إليه ليطمئن قـلبي، فطرحته في رحـلي وخرجت من الرقة ومـعي أصحابي، فلمَّـا صرنا عند حـصن مسلمة بن عـبد الملك إذا بفارس يهتف من ورائي: يا أبا قدامة قف علي قليلاً يرحمك الله، فوقفت وقلت لأصحابي: تقدمـوا أنتم حتى أنظر من هذا، وإذا أنا بفارس قد دنا مني وعـانقني وقال: الحمـد لله الذي لم يحرمـني صحبـتك، ولم يردني خائبًا، قلت للصبي أسفر لي عن وجـهك فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير، وإن لم يلزمك رددتك، فأسفر عن وجـهه فإذا به غلام كأنه القمر ليلة البدر، عليه آثار النعمة.

قلت للصبي: ألك والد؟ قال: لا. بـل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي لأنه استشهد، فلعل الله يرزقني الشـهادة كما رزق أبي، قلت للصبي: ألك والدة؟ قال: نعم، قلت: اذهب إليها فاستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها، فإن طاعـتك لها أفـضل من الجهـاد، لأن الجنة تحت ظلال السـيوف وتحت أقدام الأمـهات. قـال: يا ابن قدامـة أما تعرفني؟ قلـت: لا، قال: أنا ابن صاحـبة الوديعة، ما أسـرع ما نسيت وصـية أمي صاحـبة الشكال، وأنا إن شـاء الله الشهيد بن الشهـيد، سألتـك بـالله لا تحرمني الغزو معك في سبيل الله، فإني حافظ لكتاب الله عارف بسنة رسول الله ﷺ، عارف بالفروسية، والرمي، وما خلفت ورائي أفرس مني، فلا تحـقرني لصغر سني، وإن أمي قد أقسـمت علي أن لا أرجع. وقالت: يا بني إذا لقيت الكفـار فلا تولهم الدبر، وهب نفـسك لله، واطلب مجـاورة الله تعـالى ومجـاورة أبيك مع

إخوانك الصالحين في الجنة، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فيَّ فإنه قد بلغني أن الشهيد يشفع في سبعين من أهله، وسبعين من جيرانه، ثم ضمتني إلى صدرها، ورفعت رأسها إلى السماء، وقالت: إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي وريحانة قلبي وثمرة فؤادي سلمته إليك فقربه من أبيه.

فلمَّا سمعتُ كلام الغلام بكيت بكاءً شديدًا أسفًا على حسنه وجماله وشبابه، ورحمة لقلب والدته وتعجبًا من صبرها عنه، فقال: يا عم مم بكاؤك؟ إن كنت تبكي لصغر سني، فإن الله يعذب من هو أصغر مني إذا عصاه، قلت: لم أبك لصغر سنك، ولكن أبكي لقلب والدتك، كيف تكون بعدك؟!

وسرنا ونزلنا تلك الليلة فلما كان الغداة رحلنا والغلام لا يفتر من ذكر الله تعالى، فتأملته فإذا هو أفرس منا إذا ركب، وخادمنا إذا نزلنا منزلاً، وصار كلما سرنا يقوى عزمه، ويزداد نشاطه، ويصفو قلبه وتظهر علامات الفرح عليه، فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس، فنزلنا فجلس يطبخ لنا طعامًا لإفطارنا وكنا صيامًا، فغلبه النعاس فنام نومة طويلة فبينما هونائم إذ تبسم في نومه فقلت لأصحابي: ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام في نومه، فلما استيقظ قلت: بني، رأيتك الساعة ضاحكًا مبتسمًا في منامك، قال: رأيت رؤيا فأعجبتني، وأضحكتني، قلت: ما هي: قال: رأيت كأني في روضة خضراء أنيقة فبينما أنا أجول فيها إذ رأيت قصرًا من فضة شرفه من الدر والجوهر، وأبوابه من الذهب وستوره مرخية، وإذا جواري يرفعن الستور وجوههن كالأقمار، فلما رأينني قلن لي: مرحبًا بك فأردت أن أمد يدي إلى

إحداهن، فقالت: لا تعجل ما آن لك، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض هذا زوج المرضية، وقلن لي تقدم يرحمك الله فتقدمت أمامي فإذا في أعلى القصر غرفة من لذهب الأحمر، عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوامه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا أن الله ثبت على بصري لذهب، وذهب عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية، فلما رأتني الجارية قالت: مرحبًا وأهلا وسهلاً يا ولي الله وحبيبه، أنت لي وأنا لك فأردت أن أن أضمها إلى صدري، فقالت: مهلاً، لا تعجل فإنك بعيد عن الخنا، وإن الميعاد بيني وبينك غدًا بعد صلاة الظهر فأبشر.

قال أبو قدامة: قلت له: رأيت خيرًا، وخيرًا يكون، ثم بتنا متعجبن من منام الغلام، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا فإذا المنادي ينادي: يا خيل الله اركبي، وبالجنة أبشري، انفروا خفافًا وثقالاً وجاهدوا. فما كان إلا ساعةً، وإذا جيش الكفر خذله الله قد أقبل كالجراد المنتشر، فكان أول من حمل منَّا فيهم الغلام، فبدد شملهم، وفرق جمعهم، وغاص في وسطهم، فقتل منهم رجالاً، وجندل أبطالاً، فلما رأيته كذلك لحقته فأخذت بعنان فرسه وقلت: يا بني ارجع فأنت صبي ولا تعرف خدع الحرب، قال: يا عم ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار**﴾، أتريد أن أدخل النار؟ فبينما هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، حالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه واشتغل كل واحد منَّا بنفسه.

وقُتل خلق كثير من المسلمين، فلما افترق الجمعان إذا القتلى لا يُحصون عددًا فجعلت أجول بفرسي بين القتلى ودماؤهم تسيل على الأرض

ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء، فبينما أنا أجول بين القتلى، وإذا أنا بالغلام بين سنابك الخيل قد علاه التراب، وهو يتقلب في دمه ويقول: يا معشر المسلمين، بالله ابعثوا لي عمي أبا قدامة. فأقبلت عليه عندما سمعت صياحه فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس الدواب فقلت: أنا أبو قدامة. قال: يا عمٍّ صدقت الرؤيا ورب الكعبة، أنا ابن صاحبة الشكال، فعندها رميت بنفسي عليه، فقلبت بين عينيه، ومسحت التراب والدم عن محاسنه، وقلت: يا بني لا تنس عمَّك أبا قدامة في شفاعتك يوم القيامة. فقال: مثلك لا يُنسى، لا تمسح وجهي بثوبك، ثوبي أحق به من ثوبك، دعه يا عم ألقى الله تعالى به، يا عم! هذه الحوراء التي وصفتها لك قائمة على رأسي تنظر خروج روحي، وتقول لي: عجِّل فأنا مشتاقة إليك! بالله يا عمٍّ إن ردَّك الله سالمًا فاحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلاء الحزينة، وسلمها إليها؛ لتعلم أني لم أضيع وصيتها، ولم أجبن عند لقاء المشركين، واقرأ مني السلام عليها، وقل لها: أن الله قد قبل الهدية التي أهدتها، ولي يا عم أخت صغيرة لها من العمر عشر سنين كنت كلما دخلت استقبلتني تسلم علي، وإذا خرجت تكون آخر من يودعني عند مخرجي، وقد قالت لي: بالله يا أخي لا تبطئ عنَّا. فإذا لقيتها فاقرأ عليها مني السلام وقل لها يقول لك أخوك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، ثم تبسَّم وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ثم خرجت روحه فكفناه في ثيابه وواريناه رضي الله عنه وعنَّا به.

فلما رجعنا من غزوتنا تلك دخلنا الرقة ولم تكن لي همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله وهي قائمة بالباب وتقول لكل من مرَّ بها: يا عم من أين جئت؟ فيقول: من الغزو. فتقول: أما رجع معكم أخي؟ فيقولون: لا نعرفه. فلما سمعتها تقدمت إليها فقالت لي: يا عم، من أين جئت؟ قلت: من الغزو. قالت: أما رجع معكم أخي. ثم بكت، وقالت: ما أبالي، يرجعون وأخي لم يرجع، فغلبتني العبرة، ثم قلت لها: يا جارية قولي لصاحبة البيت أن أبا قدامة على الباب، فسمعت المرأة كلامي فخرجت وتغير لونها، فسلمت عليها فردت السلام وقالت: أمبشرًا جئت أم معزيًا؟ قلت: بيِّني لي البشارة من التعزية رحمك الله. قالت: إن كان والدي رجع سالمًا فأنت معز، وإن كان قُتل في سبيل الله فأنت مبشر. فقلت: أبشري. فقد قُبلت هديتك. فبكت وقالت: الحمد لله الذي جعله ذخيرة يوم القيامة، قلت: فما فعلت الجارية أخت الغلام. قالت: هي التي تكلمك الساعة فتقدمت إلي فقلت لها: إن أخاك يسلم عليك ويقول لك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، فصرخت ووقعت على وجهها مغشيًا عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هي ميتة، فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثياب الغلام التي كانت معي لأمه، وودعتها وانصرفت حزينًا على الغلام والجارية، ومتعجبًا من صبر أمهما.

* * *

من أطباء بلجيكا إلى بئر زمزم

امرأة مغربية، أصيبت بالمرض الخبيث «السرطان»، فعجز الأطباء عن علاجها، ففقدت الأمل إلا بالله الذي لم تكن تعرفه من قبل، فتوجهت إليه في البيت الحرام، فماذا حصل؟

نترككم مع الأخت ليلى لتروي تفاصيل قصتها بنفسها، فتقول: «منذ تسع سنوات أصبت بمرض خطير جدًا، وهو مرض السرطان، والجميع يعرف أن هذا الاسم مخيف جدًا، وهناك في المغرب لا نسميه «السرطان»، وإنما نسميه «الغول» أو «المرض الخبيث». أصبت بالتاج الأيسر، وكان إيماني بالله ضعيفًا جدًا، كنت غافلة عن الله تعالى، وكنت أظنُّ أن جمال الإنسان يدوم طوال حياته، وأن شبابه وصحته كذلك، وما كنت أظن أنني سأصاب بمرض خطير كالسرطان، فلما أصبت بهذا المرض زلزلني زلزالاً شديدًا، وفكرت في الهروب، ولكن إلى أين؟! ومرضي معي أينما كنت، فكرت في الانتحار، ولكني كنت أحب زوجي وأولادي، وما فكرت أن الله سيعاقبني إذا انتحرت، لأني كنت غافلة عن الله كما أسلفت.

وأراد الله سبحانه أن يهديني بهذا المرض، وأن يهدي بي كثيرًا من الناس فبدأت الأمور تتطور لما أصبت بهذا المرض، رحلت إلى بلجيكا وزرت عددًا من الأطباء هناك، وقالوا لزوجي: لابد من إزالة الثدي، وبعد ذلك

استعمــال أدوية حادة تسقط الشعر، وتزيل الرمــوش، والحاجبين، وتعطي لحيــة، على الوجه كــما تسقط الأظــافر والأسنان، فرفـضت رفضًــا كليًا وقلت: أني أفـضل أن أموت بثـديي وشـعري وكل مــا خلق الله بي ولا أشوه، وطلبت من الأطباء أن يـكتبوا لي علاجًا خـفيفًا ففـعلوا. فرجعت إلى المغرب، واستعـملت الدواء فلم يؤثر علي، ففرحت بذلك وقلت في نفسي: لعل الأطباء قد أخطؤوا، وأني لم أصب بمرض السرطان..

ولكن بعد ســتة أشهر تقـريبًا بأدت أشعر بنقص في الوزن، لوني تـغير كثـيرًا وكنت أحس بالآلام، كانت أمي مـعي دائمًا، فنصحني طبـيبي في المغرب أن أتوجه إلى بليـجكا فتوجهت إلى هناك، وهناك كانت المصـيبة، فقد قــال الأطباء لزوجي: إن المرض قد عم وأصيـبت الرئتان، وأنهم آلان ليس لديهم دواء لهـذه الحــالة، ثم قالوا لزوجــي: من الأحسن أن تأخـذ زوجتك إلى بلدها، حتى تموت هناك.

فجع زوجي بما سمع، وبدلاً من الذهاب إلى المغــرب ذهبنا إلى فرنسا، حيث ظننا أننا سنجد العــلاج هناك، ولكنا لم نجد شيئًا، وأخــيرًا حرصنا على أن نستعين بأحد هناك لأدخل المستشفى وأقطع ثديي وأستعمل العلاج الحاد، لكن زوجي تذكر شيئًا كنا قــد نسيناه وغفلنا عنه طوال حياتنا، لقد ألهم الله زوجــي أن نقــوم بــزيارة إلى بيت الله الحـــرام، لنقف بــين يديه سبحانه ونسأله أن يكشف ما بنا من ضر، وذلك ما فعلناه.

خرجنا من باريــس ونحن نهلل ونكبر، فرحــت كثيــرًا لأنني لأول مرة سأدخل بيت الله الحــرام، وأرى الكعبة المشــرفة، واشتــريت مصحــفًا من مدينة باريس وتوجهنا إلى مكة المكرمــة، وصلنا إلى بيت الله الحرام، فلما

دخلنا ورأيت الكعبة بكيت كثيـرًا، لأنني ندمت على ما فاتني من فرائض وصلاة وخـشوع وتضرع إلى الله، وقلت: يا رب لقـد استعـصى علاجي على الأطبـاء، وأنت منك الـداء ومنك الدواء، وقـد أُغلقت في وجـهي جمـيع الأبواب، وليس لي إلا بابك فلا تغلقه في وجـهي، وطفت حول بيت الله، وكنت أسأل الله كـثيرًا بأن لا يخيـبني، وأن لا يخذلني وأن لا يحير الأطباء فـي أمري، وكما ذكرت آنفًا فقـد كنت غافلة عن الله جاهلة بدين الله، فكنت أطوف على العلماء والمشايخ الذين كانوا هناك، وأسألهم أن يدلوني على كتب وأدعية سهلة وبسيطة حتى أسـتفيد منها، فنصحوني كثيـرًا بتلاوة كتـاب الله والتضلع من ماء زمزم، والتـضلع: هو أن يشرب الإنسان حتى يشعر أن الماء قد وصل إلى أضلاعـه، كما نصحوني بالإكثار من ذكر الله، والصلاة على رسـوله ﷺ، شعرت براحة نفسـية، واطمئنان في حـرم الله، فطلبت من زوجي أن يسـمح لي بالبقـاء في الحرم وعـدم الرجوع إلى الفندق، فأذن لي.

وفي الحرم كـان بجواري بعض الأخوات المصـريات، والتركيـات، كان يريني أبكي كثـيرًا، فسألنني عن سـبب بكائي، فقلت: لأنني وصلت بيت الله، ومـا كنت أظن أني سـأحبـه هذا الحـب. وثانيًـا: لأنني مـصـابة بالسرطان.

فلازمنني ولم يفارقنني، فـأخبرتهن أنني معتكفة في بـيت الله، فأخبرن أزواجهن ومكثن معي، فكنا لا ننام أبدًا، ولا نأكل من الطعام إلا القليل، لكننا نشرب كـثيرًا من ماء زمـزم، والنبي ﷺ يقول: «**ماء زمـزم لما شرب له**»، إن شربـته لتشـفى شفـاك الله، وإن شربتـه لظمئك قطـعه الله، وإن

شربته مستعيذًا أعاذك الله، فقطع الله جوعنا، وكنا نطوف دون انقطاع، حيث نصلي ركعتين ونعاود الطواف، ونشرب من ماء زمزم، ونكثر من تلاوة القرآن، وهكذا كنا في الليل والنهار لا ننام إلا قليلاً.

عندما وصلت إلى بيت الله كنت هزيلة جدًا، وكان في نصفي الأعلى كويرات وأورام تؤكد أن السرطان قد عمَّ جسمي الأعلى، فكن ينصحنني بأن أغسل نصفي الأعلى بماء زمزم، ولكنني كنت أخاف أن ألمس تلك الأورام والكويرات، فأتذكر ذلك المرض الذي سيشغلني عن ذكر الله وعبادته، فغسلته دون أن ألمس جسدي، وفي اليوم الخامس ألحن علي رفيقاتي أن أمسح جسدي بشيء من ماء زمزم، فرفضت في بداية الأمر، لكني أحسست بقوة تدفعني إلى أن آخذ شيئًا من ماء زمزم وأمسح بيدي على جسدي، فخفت في المرة الأولى ثم أحسست بهذه القوة مرة ثانية، فترددت، ولكن في المرة الثالثة ودون أن أشعر أخذت يدي ومسحت بها على جسدي وثديي الذي كان مملوءًا كله دمًا وصديدًا وكويرات، وحدث ما لم يكن في الحسبان، كل الكويرات ذهبت ولم أجد شيئًا في جسدي، لا ألمًا ولا دمًا ولا صديدًا، فاندهشت في أول الأمر فأدخلت يدي في قميصي لأبحث عمَّا في جسدي، فلم أجد شيئًا من تلك الأورام، فارتعشت، ولكني تذكرت أن الله على كل شيء قدير، فطلبت من إحدى رفيقاتي أن تلمس جسدي وأن تبحث عن هذه الكويرات، فصحن كلُّهن دون شعور الله أكبر، الله أكبر، فانطلقت لأخبر زوجي، ودخلت الفندق، فلمَّا وقفت أمامه مزقت قميصي وأنا أقول: انظر رحمة الله، وأخبرته بما حدث فلم يصدق ذلك، وأخذ يبكي، ويصيح بصوت عال ويقول: هل

علمت أن الأطباء قد أقسموا على موتك بعد ثلاثة أسابيع فقط؟ فقلت له: إن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى، ولا يعلم الغيب إلا الله، مكثنا في بيت الله أسبوعًا كاملاً، فكنت أحمد الله وأشكره على نعمه التي لا تحصى، ثم زرنا المسجد النبوي بالمدينة المنورة، ورجعنا إلى فرنسا، وهناك، حار الأطباء في أمري واندهشوا وكادوا يجنون، وصاروا يسألونني، هل أنت فلانة؟ فأقول لهم نعم، بافتخار وزوجي فلان، وقد رجعت إلى ربي، وما عدت أخاف من شيء إلا من الله سبحانه وتعالى، فالقضاء قضاء الله، والأمر أمره، فقالوا لي: إن حالتك غريبة جدًا، وأن الأورام قد زالت، فلابد من إعادة الفحص، أعادوا فحصي مرة ثانية، فلم يجدوا شيئًا، وكنت من قبل لا أستطيع أن أتنفس من تلك الأورام، ولكن عندما وصلت إلى بيت الله الحرام وطلبت الشفاء من الله ذهبت ذلك عني، بعد ذلك كنت أبحث عن سيرة النبي ﷺ، وعن سيرة أصحابه رضي الله عنهم وأبكي كثيرًا، كنت أبكي ندمًا على ما فاتني من حب الله ورسوله، وعلى تلك الأيام التي قضيتها بعيدة عن الله عزَّ وجلَّ، وأسأل الله أن يقبلني وأن يتوب عليَّ، وصلى الله على محمد.

* * *

مأساة فتاة

فتاة في المرحلة الجامعية ـ كلية الآداب ـ قسم علم نفس، ولها أخوات ثلاث، منهن من تدرس في المرحلة الثانوية والأخريتان في المرحلة المتوسطة. وكان الأب يعمل في محل بقالة ويجتهد لكي يوفر لهم لقمة العيش. وكانت هذه الفتاة مجتهدة في دراستها الجامعية، معروفة بحسن الخلق، والأدب الجم، كل زميلاتها يحببنها ويرغبن في التقرب إليها لتفوقها المميز.

قالت: في أحد الأيام خرجت من بوابة الجامعة، وإذ أنا بشاب أمامي في هيئة مهندمة، وكان ينظر إلي وكأنه يعرفني، لم أعطه أي اهتمام، سار خلفي وهو يحدثني بصوت خافت وكلمات صبيانية مثل: يا جميلة.. أنا أرغب في الزواج منك.. فأنا أراقبك منذ مدة وعرفت أخلاقك وأدبك.. سرت مسرعة تتعثر قدماي.. ويتصبب جبيني عرقًا، فأنا لم أتعرض لهذا الموقف أبدًا من قبل.. ووصلت إلى منزلي منهكة مرتبكة أفكر في هذا الموضوع ولم أنم تلك الليلة من الخوف والفزع والقلق.

وفي اليوم التالي وعند خروجي من الجامعة وجدته منتظرًا أمام الباب وهو يبتسم، وتكررت معاكساته لي والسير خلفي كل يوم، وانتهى الأمر برسالة صغيرة ألقاها لي عند باب البيت وترددت في التقاطها، ولكن أخذتها ويداي ترتعشان وفتحتها وقرأتها وإذا بها كلمات مملوءة بالحب والهيام، والاعتذار عمَّا بدر منه من مضايقات لي. مزَّقت الورقة ورميتها

وبعد سويعات دق جرس الهاتف فرفعته وإذا بالشاب نفسه يطاردني بكلام ويقول لي: قرأت الرسالة أم لا؟

قلت له: إن لم تتأدب أخبرت عائلتي والويل لك.. وبعد ساعة اتصل مرة أخرى وأخذ يتودد إلي بأن غايته شريفة وأنه يريد أن يستقر ويتزوج، وأنه ثري وسيبني لي قصرًا، ويحقق لي كل آمالي، وأنه وحيد لم يبق من عائلته أحد على قيد الحياة... و ... و.... فرقّ قلبي له وبدأت أكلمه وأسترسل معه في الكلام وبدأت أنتظر الهاتف في كل وقت. وأترقبه بعد خروجي من الكلية لعلي أراه ولكن دون جدوى وخرجت ذات يوم من كليتي وإذا به أمامي.. فطرت فرحًا، وبدأت أخرجه معه في سيارته نتجول في أنحاء المدينة،كنت أشعر معه بأنني مسلوبة الإرداة عاجزة عن التفكير وكأنه نزع لبي من جسدي.. كنت أصدقه فيما يقول، وخاصة عند قوله لي أنك ستكونين زوجتي الوحيدة، وسنعيش تحت سقف واحد ترفرف عليه السعادة والهناء.. كنت أصدقه عندما كان يقول لي أنت أميرتي، وكلما سمعت هذا الكلام أطير في خيال لا حدود له، وفي يوم من الأيام ويا له من يوم كان يومًا أسود.. دمر حياتي وقضى على مستقبلي وفضحني أمام الخلائق، خرجت معه كالعادة وإذا به يقودني إلى شقة مفروشة، دخلت وجلسنا سويًا ونسيت حديث رسول الله ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**» رواه الترمذي، ولكن الشيطان استعمر قلبي وامتلأ قلبي بكلام هذا الشاب، وجلست أنظر إليه وينظر إلي ثم غشيتنا غاشية عذاب جهنم.. ولم أدر إلا وأنا فريسة لهذا الشاب وفقدت أعزّ ما أملك.. قمت كالمجنونة. ماذا فعلت بي؟

لا تخافي أنت زوجتي.

كيف أكون زوجتك وأنت لم تعقد علي؟

سوف أعقد عليك قريبًا.

وذهبت إلى بيتي مترنحة، لا تقوى ساقاي على حملي واشتعلت النيران في جسدي.. يا إلهي.. ماذا؟ أجننت أنا؟! ماذا دهاني؟! وأظلمت الدنيا في عيني، وأخذت أبكي بكاء شديدًا مرًا وتركت الدراسة وساء حالي إلى أقصى درجة، ولم يفلح أحد من أهلي أن يعرف كنه ما فيَّ، ولكن تعلقت بأمل راودني وهو وعده لي بالزواج، ومرَّت الأيام يجر بعضها البعض، وكانت علي أثقل من الجبال، ماذا حدث بعد ذلك؟!

كانت المفاجأة التي دمرت حياتي.. دق جرس الهاتف وإذا بصوته يأتي من بعيد، ويقول لي: أريد أن أقابلك لشيء مهم.. فرحت وتهللت وظننت أن الشيء المهم هو ترتيب أمر الزواج.. قابلته وكان متجهمًا تبدو على وجهه علامات القسوة، وإذا به يبادرني قائلاً: قبل كل شيء لا تفكري في أمر الزواج أبدًا.. نريد أن نعيش سويًا بلا قيد.. ارتفعت يدي دون أن أشعر وصفعته على وجهه حتى كاد الشرر يطير من عينيه، وقلت له: كنت أظن أنك ستصلح غلطتك.. ولكن وجدتك رجلاً بلا قيم ولا أخلاق ونزلت من السيارة مسرعة وأنا أبكي، فقال لي هنيهة من فضلك، ووجدت في يده شريط فيديو يرفعه بأطراف أصابعه مستهترًا، وقال بنبرة حادة: سأحطمك بهذا الشريط قلت له: وما بداخل الشريط؟ قال: هلمي معي لتري ما بداخله ستكون مفاجأة لك، وذهبت معه لأرى ما بداخل

الشريط، ورأيت تصويرًا كاملاً لما تم بيننا في الحرام. قلت: ماذا فعلت يا جبان.. يا خسيس؟!

قال: «كاميرات» خفية كانت مسلطة علينا تسجل كل حركة وهمسة، وهذا الشريط سيكون سلاحًا في يدي لتدميرك إلا إذا كنت تحت أوامري، ورهن إشارتي، وأخذت أصيح، وأبكي لأن القضية ليست قضيتي، بل قضية عائلة بأكملها! ولكن قال: أبدًا.. والنتيجة أن أصبحت أسيرة بيده ينقلني من رجل إلى رجل ويقبض الثمن.. وسقطت في الوحل.. وانتقلت حياتي إلى الدعارة وأسرتي لا تعلم شيئًا عن فعلتي فهي تثق بي تمامًا.

وانتشر الشريط .. ووقع بيد ابن عمي فانفجرت القضية، وعلم والدي وجميع أسرتي وانتشرت الفضيحة في أنحاء بلدتنا، ولطخ بيتنا بالعار، فهربت لأحمي نفسي واختفيت عن الأنظار، وعلمت أن والدي وشقيقاتي هاجروا إلى بلاد أخرى، وهاجرت معهم الفضيحة تتعقبهم، وأصبحت المجالس يتحدث فيها عن هذا الموضوع، وانتقل الشريط من شاب لآخر. وعشت بين المومسات منغمسة في الرذيلة، وكان هذا النذل هو الموجه الأول لي يحركني كالدمية في يده، ولا أستطيع حراكًا؟ وكان هذا الشاب السبب في تدمير العديد من البيوت وضياع مستقبل فتيات في عمر الزهور، وعزمت على الانتقام.. وفي يوم من الأيام دخل عليَّ وهو في حالة سكر شديد فاغتنمت الفرصة وطعنته بمدية.. فقتلت إبليس المتمثل في صورة آدمية وخلصت الناس من شروره وكان مصيري أن أصبحت وراء القضبان أتجرع مرارة الذل والحرمان وأندم على فعلتي الشنيعة، وعلى حياتي التي فرطت فيها. وكلما تذكرت شريط الفيديو خُيل إلي أن الكاميرات تطاردني في كل

مكان. فكتبت قصتي هذه لتكون عبـرة وعظة لكل فتاة تنساق خلف كلمات براقـة، أو رسالة مـزخـرفة بالحب والوله والهـيـام.. واحذري الهـاتف يا أخـتاه.. احـذريه.. وضعت أمـامك يا أختـاه صورة حـياتي التي انتـهت بتحطيـمي بالكامل وتحطيم أسرتي، ووالدي الذي مات حـسرة، وكان يردد قبل موته حسبي الله ونعم الوكيل.. أنا غاضب عليك إلى يوم القيامة..

ما أصعبها من كلمة!!!

* * *

قتل أباه وأخته

قصة واقعية يندى لها الجبين ويتفطر لها القلب همًّا ونكدًا تدمع لها العينان.. وهي ليست من باب الغيبة والمكيدة، ولكن من باب العبرة والنصيحة أضعها بين يدي إخواني حتى يعرفوا ما لهم وما عليهم في مجتمع لا يعرف معنى الرحمة... ولكن: الله الله في أمة الإسلام اليوم.. قصة يرويها أحد الأخوة سمعتها من الداعية الإسلامي الكويتي الشيخ: نبيل العوضي حفظه الله والكلام للشيخ يقول:

وصلتني رسالة من تائب، والكلام الآن لصاحب الرسالة يقول: «كنا نعيش في أسرة يملؤها الحب والسعادة والسرور، تتكون أسرتي من أب وأم وأخت وأنا رابعهم، كنا نجلس ونضع الأحلام، كنت أجلس مع أمي كانت تقول لي: يا بني عليك أن تكون طيارًا ولكني أقول لها.. أنا أريد أنا أصبح طيارًا.. كنت متفوقًا دراسيًا، وأختي أيضًا. كان أبي مشغولاً عنَّا كل الوقت، ولكن أمي هي التي كانت معنا طوال الوقت. كنا نهتم بدروسنا.. وفي يوم من الأيام تعرَّفت على ثلة من الشباب في المدرسة ويا ليتني لم أتعرف عليهم، واعدوني خارج المدرسة.. وبعدها في الديوانية لإحدى الشباب كنت أتأخر في الديوانية لأوقات متأخرة من الليل، وكنت عندما أرجع كان أبي يضربني ضربًا مبرحًا، وتعددت التأخرات.. وفي يوم من الأيام تأخرت في الديوانية إلى الساعة الحادية عشرة، فقلت لأحد

الأصدقاء: أرجـوك أسرع في توصيلي، ولكن صاحب الديـوانية قال لي: انتظر نصف ساعـة أنا أوصلك.. فقام صـاحب الديوانية وأحضـر شايًا، وعندها شربت ورجعت إلى المنزل، وفي تلك الليلة عرفت الراحة.. ومن ذلك اليوم كنت أذهب إلى الديوانية وأشـرب الشاي فقط «ولعلكم أدركتم ما في الشاي»، بعدها تأخرت دراسـيًا، أو بالأحرى فشلت وبعدها طلب صاحب الديوانية مالاً.. لشرب الشـاي، ولكن لم يعد لي مالاً ، وكانت أختي لا تعـرف أني أتعاطى، وكانت دائمًا تنصـحني، كنت أقوم في كل يوم بسرقة المال من أمي وأبي وأختي حتى اكـتشفوا أمري أني كنت أسرق المال.. بعدها هربت من المنزل، وذهبت إلى أصـدقائي، وقالوا لي: لكي تحصل على المال عليك أن تعطي أخـتك هذه الحبيبات؛ حـتى تحصل على المال، ورجعت تلك الليلة وأنا أحـمل معي الحبيبـات وقلت لأختي أريدك في أمر هام... فـرحت أختي فرحًا شـديدًا ثم جلسنا في غرفتـها وقلت لهـا: لو سمـحت أحضـري لنا شايًـا، وقامت أخـتي المسكينة لإحضـار الشاي، ثم أتت ولكن قلت لهـا: ممكن تأتي لي بكأس من الماء.. وكنت أقول في نفـسي: هل أضع الحبـوب أم لا؟ ولكن بعدها قـررت ووضعت الحبوب في الشـاي.. أتت أختي وهي تقول لي: يا أخي إني أحـبك حبًا لم أحب شخـص مثله، وبعدهـا شربت الشاي.. وأنا أضـحك وأبكي، بعدها هربت من المنزل وعدت باليوم الثاني، ولقـيت أختي فقالت لي ماذا فعلت بالشاي يا أخي، أرجوك ائتنـي بما وضعت بالشاي، وكانت فطنة.. قمت فأحضرت هذه الحـبوب.. وبعدها أدمنت أنا وأختي على المخدر.. فشلت أختي في الجامعة وفصلت.. انتهت الأموال.. وفي يوم من الأيام

اقترح علي صاحب المخدر وقال: سأعطيك المخدر بدون مقابل بشرط أن تأتي لي بأختك.. رفضت وتشاجرت معه، ولكن أصحابي قالوا لي: أنت اعرض الأمر على أختك فإذا وافقت ذاك شأنها.. وفعلاً ذهبت إلى أختي أخبرتها بالأمر.. فلم تتردد في ذلك، فأخذتها وذهبنا إلى صاحب المخدر، وكانت في كل يوم مع شخص، وفي يوم من الأيام دق هاتف المنزل وإذا بأبي يحمل الهاتف أنت فلان. قال: نعم. قالوا نريدك في المستشفى. وذهب إلى المستشفى فإذا بالسرير عليه شخص كشفوا عن الوجه الشخص. قالوا له: هذه ابنتك!. قال: نعم. قال: كيف ماتت؟ قالوا له: كانت ابنتك مع أحد الشباب المدمنين وهي مدمنة انقلبت عليهم السيارة..

قال: لا، لا يعقل أن تفعل ابنتي ذلك..بعدها بأسبوع مات والدي، وكانت أمي تلعنني وتلعن أختي وتقول: الله يلعنك يا من قتلت والدك وفضحتنا!!».

انتهى كلام صاحب الرسالة.. وهو الآن تائب، ونحن نقول: الله يغفر لك، ويتجاوز عنك ولن نلعنك، ولكن سنطلب من الله أن يغفر لنا ولك والله المستعان.

* * *

عاقبة الظلم

قصة عجيبة تم تناقلها من شخص إلى آخر، ولما وجدت بها من عبرة أحببت أن أنقلها إليكم بعد أن أرسلت إلي من أحد الأخوة جزاه الله خيرًا.. عموم القصة كما يرويها المتلقي الأول هي كما يلي:

«حدثني أحد أصدقائي «ضابط برتبة نقيب في قسم التحقيق في الشرطة»، بهذه القصة العجيبة التي حدثت معه شخصيًا، آمل منك أن تقرأها بتمعن وتنظر للعبر التي يمكن أن نستفيدها منها لعلها تحرك أفئدتنا وقلوبنا ونعتبر بما فيها، قال لي محدثي:

في يوم من الأيام يوم الخميس قبل صلاة المغرب بقليل جاءت سيارة مسرعة سرعة جنونية في طريق سريع وصدمت رجلاً كان يمشي في الطريق أمام باب وكالة سيارات (بي أم دبليو» وهرب السائق الذي صدم هذا الرجل.. وقد تمكن الشرطة في نفس اليوم من إلقاء القبض عليه.

والرجل الذي صدمته السيارة توفي في الحال، وعند البحث عن الأوراق التي بحوزته، تبين أن قادم للبحث عن عمل في وكالة السيارات التي توفي أمامها!!

ونقل هذا المتوفى إلى إحدى المستشفيات حتى يحفظ في الثلاجة ويأتي أحد أقاربه للسؤال عنه واستلامه..

ومضى أسبوعان ولم يسأل عنه أي أحد.. وفي نهاية الأسبوع الثاني

بدأ يبحث الضابط عن هاتف منزله من خلال ما بحوزته.. من الأوراق.

اتصل الضابط بالمنزل فردَّت عليه امرأة فسألها: أين فلان؟ قالت: غير موجود. فقال: وماذا تقربين أنت له؟! قالت: زوجته. فقال لها: متى سيعود؟ قالت: لقد خرج منذ أسبوعين ولا نعلم عنه شيئًا. وأنهى الضابط المكالمة معها دون أن يخبرها بما حدث ولم يبلغها بأمر زوجها الذي دعسته السيارة ومات.. وبدأ يفكر في أمرها وكيف؟

ظلَّ في حيرة من الأمر لمدة يومين ثم قرر بعدها إبلاغها بما حدث.. اتصل بها مرة أخرى وأبلغها بالأمر فحزنت حزنًا شديدًا وبكت وهو يحدثها ثم طلب منها أن ترسل أي أحد من الأقارب حتى يتابع القضية وينهي الإجراءات.

فأبلغته بأنه لا يوجد لهم أقارب إلا عم لزوجها يسكن في منطقة بعيدة عنهم، والعلاقة بينهما مقطوعة.

تابع الضابط موضوع هذه المرأة بنفسه.. حتى دفن وحكمت المحكمة بدفع الدية للمرأة..

أخذ هذا السائق يماطل بالدفع ويقول إنني لا أملك شيئًا ولا أستطيع الدفع لها.. وبعد مرور ثلاثة أشهر من الحادث استطاع أن يحضر صك إعسار.. وطويت القضية على أنه معسر وسيتم سداد الدية لهذه المرأة عندما تتحسن حالته تصور أخي حالة هذه المرأة المادية التي كان زوجها يبحث عن عمل.. يقول الضابط: كنت أجمع لها بعض النقود وأعطيها إياها، وكنت أدلها على الجمعيات الخيرية في البلد..

ومرت الأيام..

وفي يوم من الأيام وبعد سنة بالضبط من الحادث الأول كنت مناوبًا ويقدر وأراد الله أن أرد على المكالمة وإذا بخبر حادث سيارة أمام وكالة السيارات بي إم دبليو..

ذهبت إلى موقع الحادث، فوجدت سيارة صدمت رجلاً ومات في الحال.. وكان الجثة مشوهة جدًا لا أحد يستطيع التعرف على الملامح، وكان يوم خميس، والوقت قبل المغرب بقليل...

وبعد البحث عن الأوراق التي بحوزته كانت المفاجأة المذهلة والصاعقة التي تيقنت من خلالها أنه لا شيء يضيع عند رب الأرباب.. تبين لي بأنه هو نفس الشخص الذي عمل الحادث، وظلم المرأة.. في نفس المكان ونفس الموعد بعد سنة من الحادث الأول..

ومن هول المفاجأة بالنسبة لي أخذت أتردد على المكان عدة مرات ولعدة أيام وقست المسافة بين موقع الحادث الأول والحادث الثاني.. فوجد الفرق خمسة أمتار بينهما..

ومما زاد من المفاجأة أن الذي توفي في الحادث الثاني جاء يمشي للدخول إلى وكالة السيارات، ومعه شيك ليدفعه للوكالة لشراء سيارة جديدة منها !!

انظر أخي المسلم كيف أن الرجل الأول كان في الطريق للبحث عن عمل وكان الثاني في الطريق لشراء سيارة.. سيارة جديدة..

يقول صاحب القصة: فأخبرت القاضي الذي سيتولى الحكم بموضوع

هذا الرجل، وما كـان منه.. وقد قـدَّر الله أن سائق السيـارة الذي صدم الثاني كان يعمل في شركة كبيرة وعندما طلت منه الدية أحضرها بسرعة، ولكن القاضي حكم بأن تكون هذه الدية من نصـيب المرأة التي ظلمها هذا الميت.. وبهذا تمت القصـة فلنتأملها جيدًا ونستـفيد: أن الجزاء من جنس العمل وأن دعـوة المظلوم مسـتجابة.. وأن الله يمهل ول يهـمل فلتكن لنا عبرة..

* * *

قصة الرحيل

بدت أختي شاحبة الوجه نحيلة الجسم.. ولكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم.. تبحث عنها تجدها في مصلاها.. راكعة ساجدة رافعة يديها إلى السماء.. هكذا في الصباح وفي المساء وفي جوف الليل لا تفتر ولا تمل.. كنتُ أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصي.. أشاهد الدش بكثرة لدرجة أنني عرفت به.. ومن أكثر من شيء عُرف به.. لا أؤدي واجباتي كاملة، ولست منضبطة في صلواتي.. بعد أن أغلقت الدش وقد شاهدت أفلامًا متنوعة لمدة ثلاث ساعات متواصلة.. ها هو الأذان يرتفع من المسجد المجاور.. عدت إلى فراشي.. تناديني من مصلاها.. نعم ماذا تريدين يا نورة؟ قالت لي بنبرة حادة: لا تنامي قبل أن تصلي الفجر.. أوه.. بقي ساعة على صلاة الفجر وما سمعتيه كان الأذان الأول.. بنبرتها الحنونة.. هكذا.. حتى قبل أن يصيبها المرض الخبيث وتسقط طريحة الفراش.. نادتني.. تعالي يا هناء بجانبي.. لا أستطيع إطلاقًا رد طلبها.. تشعر بصفائها وصدقها.. لا شكَّ طائعة ستلبي.. ماذا تريدين؟ اجلسي.. ها قد جلست ماذا لديك.. بصوت عذب رخيم؟: كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة.. سكتت هنيهة.. ثم سألتني: ألم تؤمني بالموت؟ بلى مؤمنة.. ألم تؤمني بأنك ستحاسبين على كل صغيرة وكبيرة.. بلى.. ولكن الله غفور رحيم.. والعمر طويل.. يا أختي.. ألا تخافين من

الموت وبغـتتـه؟ انظري هنداً أصغـر منك، وتوفيت فـي حادث سـيارة.. وفلانة.. وفلانة.. الموت لا يعرف الـعمر.. وليس مقياسًا له.. أجـبتها بصوت الخائف حـيث مصلاها المظلم.. إنني أخاف من الـظلام وأخفتني من الموت.. كـيف أنام الآن؟ كنت أظن أنك وافـقتِ للسـفـر مـعنا هذه الإجازة.. فجأة.. تحشرج صوتها واهتز قلبي.. لعلي هذه السنـة أسافـر سفـرًا بعـيدًا.. إلى مكـان آخـر.. ربمـا يا هناء.. الأعمار بيد الله.. وانفجـرتُ بالبكاء.. تفكرت في مرضهـا الخبيث وأن الأطباء أخـبروا أبي سرًا أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً.. ولكن من أخـبرها بذلك.. أم أنها تتوقع هذا الشيء.. مـالكِ تفكرين؟ جاءني صوتهـا القوي هذه المرة؟ هل تعتـقدين أني أقول هذا لأنني مـريضة؟ كلا.. ربما أكون أطول عـمرًا من الأصحاء.. وأنت إلى متى ستعيشين.. ربما عشرين سنة.. ربما أربعين.. ثم مـاذا.. لمعت يدها في الظـلام وهزتهـا بقـوة.. لا فرق بيـننا.. كلنا سنرحل سنغادر هذه الدنيا.. إمَّا إلـى جنة أو إلى نار.. ألـم تسمعي قول الله: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾.. تصبحين على خير.. هرولت مسـرعة وصوتها يـطرق أذني.. هداك الله.. لا تنسي الصلاة.. الثامنة صباحًا.. أسمع طرقًا على البـاب.. هذا ليس موعد استيقاظي.. بكاء.. وأصـوات.. يا إلهي مـاذا جرى؟!.. لقـد تردَّت حـالة نورة.. وذهب بها أبي إلى المسـتشفى.. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعـون.. لا سفر هذه السنة.. مكتـوب عليَّ البقـاء هذه السنة في بيتنا.. بعـد انتظار طويل.. عند الساعة الواحدة ظهرًا.. هاتفنا أبي من المستشفى.. تستطيعون زيارتها الآن هيا بسـرعة.. أخبرتني أمي أن حـديث أبي غير مطمـئن وأن صوته

متغير.. عباءتي في يدي.. أين السائق؟! ركبنا على عجل.. أين الطريق الذي كنت أذهب لأتمشى مع السائق فيه يبدو قصيراً.. ماله اليوم طويل.. وطويل جدًا.. أين ذلك الزحام المحبب إلى نفسي كي ألتفتُ يمنة ويسرة.. زحام أصبح قاتلاً ومملاً.. أمي بجواري تدعو لها.. إنها بنت صالحة ومطيعة.. لم أرها تضيع وقتها أبدًا.. دلفنا من الباب الخارجي للمستشفى .. هذا مريض يتأوه.. وهذا مصاب بحادث سيارة.. وثالث عيناه غائرتان.. لا تدري هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة؟! منظر عجيب لم أره من قبل.. صعدنا درجات السلم بسرعة.. إنها في غرفة العناية المركزة.. وسآخذكم إليها.. ثم واصلت الممرضة أنها بخير وطمأنت أمي أنها في تحسن بعد الغيبوبة التي حصلت لها.. ممنوع الدخول لأكثر من شخص واحد.. هذه هي غرفة العناية المركزة.. وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التي في باب الغرفة أرى عيني أختي نورة تنظر إليَّ وأمي واقفة بجوارها.. بعد دقيقتين خرجت أمي التي لم تستطع إخفاء دموعها.. سمحوا لي بالدخول والسلام عليها بشرط ألا أتحدث معها كثيرًا. دقيقتان كافيتان لك.. كيف حالك يا نورة؟ لقد كنتِ بخير مساء البارحة.. ماذا جرى لك؟! أجابتني بعد أن ضغطت على يدي: وأنا الآن ولله الحمد بخير.. الحمد لله ولكن يدك باردة.. كنتُ جالسة على حافة السرير ولامستُ ساقها.. أبعدتها عني.. آسفة إذا كنت قد ضايقتك.. كلا ولكني تفكرت في قول الله تعالى: ﴿**والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق**﴾.. عليك يا هناء بالدعاء لي فربما أستقبل عن قريب أول أيام الآخرة.. سفري بعيد وزادي

قليل. سقطت دمعة من عيني بعد أن سمعت ما قالت وبكيت.. لم أعي أين أنا.. استمرت عيناي في البكاء.. أصبح أبي خائفًا عليَّ أكثر من نورة.. لم يتعودوا هذا البكاء والانطواء في غرفتي.. مع غروب شمس ذلك اليوم الحزين.. ساد صمت طويل في بيتنا.. دخلت عليَّ ابنة خالتي.. ابنة عمتي.. أحداث سريعة.. كثر القادمون.. اختلطت الأصوات.. شيء واحد عرفته.. نورة قد ماتت.. لم أعد أميِّز من جاء.. لا أعرف ماذا قالوا.. يا الله.. أين أنا؟ وماذا يجري؟ عجزتُ حتى عن البكاء.. فيما بعد أخبروني أن أبي أخذ بيدي لوداع أختي الوداع الأخير.. وأني قبلتها.. لم أعد أتذكر إلا شيئًا واحدًا.. حين نظرت إليها مسجاة.. على فراش الموت.. تذكرت قولها: ﴿**والتفت الساق بالساق**﴾ عرفت حقيقة أن ﴿**إلى ربك يومئذ المساق**﴾، لم أعرف أنني عدتُ إلى مصلاها إلا تلك الليلة.. وحينها تذكرت من قاسمتني رحم أمي فنحن توأمين.. تذكرت من شاركتني همومي.. تذكرت من نفست عني كربتي.. من دعت لي بالهداية.. من ذرفت دموعها ليالي طويلة وهي تحدثني عن الموت والحساب.. الله المستعان.. هذه أول ليلة لها في قبرها.. اللهم ارحمها ونور لها قبرها.. هذا هو مصحفها.. وهذه سجادتها.. وهذا.. وهذا.. بل هذا هو الفستان الوردي الذي قالت لي سأخبئه لزواجي.. تذكرتها وبكيت على أيامي الضائعة.. بكيتُ بكاء متواصلاً.. ودعوت الله أن يرحمني ويتوب عليَّ ويعفو عني.. دعوت الله أن يثبتها في قبرها كما كانت تحب أن تدعو.. فجأة سألتُ نفسي ماذا لو كانت الميتة أنا؟ ما مصيري.. لم أبحث عن الإجابة من الخوف الذي

أصابني.. بكيتُ بحرق.. الله أكبر.. الله أكـبر.. ها هو آذان الفجر قد ارتفع.. ولكن ما أعذبه هذه المرة.. أحسست بطمأنينة وراحة وأنا أردد ما يقوله المؤذن.. لفلفت ردائي وقمت واقفـة أصلي صلاة الفجر.. صليت صلاة مودع.. كما صلتها أختـي من قبل.. وكانت آخر صلاة لها.. إذا أصحبتُ لا أنتظر المساء.. وإذا أمسيتُ لا أنتظر الصباح..

* * *

فتاة روسية أسلمت

إليكم هذه القصة، والتي يجب أن نأخذها لتكون أمام ناظرينا.. وننقلها لتكون في أنظار وفي قلوب وفي عقول زوجاتنا وبناتنا وأخواتنا بل؛ وأمهاتنا، بل ومن نعرف، وحتى من لا نعرف! ليكون في ذلك نشر للخير والفضل، ،

فتاة حديثة عهد بالإسلام.. ومن بلاد الكفر.. لا تتكلم العربية! ومع ذلك نهجت منهجًا قد لا يسكله.. قد ينكس عنه ويتراجع عنه كثير من الرجال، وليس من النساء!! ممن ارتضعوا الإسلام منذ الطفولة!!

فتاة روسية.. فتاة ليست من هنا أو من هناك من عالمنا الإسلامي، بل امرأة روسية أيها الأحبة.. هذه المرأة الروسية جاءت من روسيا مع رجل روسي ضمن وفد أو مجموعة من الفتيات.. جاء بها هذا الرجل الروسي إلى دولة خليجية مجاورة، وكان الهدف من هذا الجلب هو شراء بعض البضائع الشخصية من الأجهزة الكهربائية، وإدخالها إلى روسيا باعتبار أنها للاستعمال الذاتي، فلا تؤخذ عليها جمارك مضاعفة، إنَّما جمارك بسيطة.. فيقوم التاجر الروسي بسحب هذه الأجهزة من هؤلاء النسوة، ثم بيعها بأسعار مضاعفة وإعطاء هؤلاء النسوة بدل أتعابهن، وهذا أمر دارج وبكثرة باعتبار رخص هذه الأجهزة في تلك البلاد..

طبعًا قدم هذا الرجل، ومعه مجموعة من الفتيات لهذا الهدف، وعندما

وصلوا، عرض عليهن الرجل خطة.. مخـالفة لما اتفق عليه.. قال لهن: أنتن جئتن إلى هنا للحـصول على مبلغ بسـيط من المال، وهذا بلد متمـيز بثرائه الفاحش.. وبغنائه المتميز.. وبأهله الذين يدفعون بغير حساب!

فما رأيكن في ممارسة ـ وعرض عليـهن جانب الرذيلة ـ بيع الأجساد.. المتجـارة بالأعراض.. فمن أرادت فلتـبشر بالثـراء السريع، وبدأ في بسط شباكـه وبدأ في طرح الإغراءات وبدأ.. وبدأ إلى ان اقتنع أكـبر عدد من هؤلاء الفتيات بخطته طبعًا الاقتناع وارد لماذا؟ لأنه لا رادع إيماني يردعهن، ولا وازع خلقي يمنعـهن.. والفقـر الذي يعيش في قلوبهن يدعـوهن إلى هذه الممارسة..

إلا امرأة واحدة رأت أن هـذا الأمر لا يمكن أن تسلكه، فضحك عليـها فقال: أنتِ في هذا البلد ضائعة ليس مـعكِ إلا ما تلبسين من الثياب ولن أعطيكِ شيئًا.. فبدأت تدرس الموضـوع بشكل سريع جدًا في ذهنها فماذا فعلت؟! تصرفت تصـرف حكيم.. خطفت جوازها ثم خرجت من المنزل أو من الشقة، وهربت إلى الـشارع ليس معها الآن إلا مـا يسترها، وليس عليها لأنهـا جاءت متبرجة ليس علـيها إلا شيء بسيط من الثياب ومـعها جوازها.. فـخرجت إلى الشارع هائمـة على وجههـا فنداها ذلك الرجل وقال إذا ضاقت عليك السـبل وإذا سُدت بوجهك الطرق، فتعـالي؛ فهذا هو عنواننا.

طبعًـا ذهبت المرأة «يقـول المتحدث» وكنـت أسير في الشـارع أنا وأمي وأُختيَّ الاثنتين كـنا نسير في الشـارع، وفجأة وإذا بتلـك المرأة التي تسرع وتركض مقبلة ناحيتنا نحن!! فبـدأت تتكلم باللغة الروسية فأفدناها أننا لا

نتكلم باللغة الــروسية، فقــالت: لنا هل تتكلمون الإنجليــزية؟ فقلت أنا: نعم! وقــالت أخواتي: نعم! عند ذلك فــرحت لكن فــرحها كــان مشــوبًا بحزن بل ومقرونًا بالبكاء فقالت: أنا امرأة من روسيا وقصتي كذا وكذا.. بدأت تعرض القصة التي حصلت وأنا أريد مــنكم فقط إيوائي لفترة بسيطة من الزمن حتى أتدبَّر أمري مع أهلي وأخواتي في بلادي..

يقــول بدأت أتتــدارس مع أمي وأخــواتــي نقــبلهــا أو لا.. قــد تكون خدعــة.. قد تكون محــتالة! قد تكون .. قد تــكون! وفي نهاية المطاف رأينا أن نقــبل هذاالعرض منهــا فأخــذناها مــعنا وذهبنا بها إلى البــيت.. وبدأت تتصل ولكن لا مــجيب، الخطوط متــعطلة في ذلك البلد! وكانت تحاول كل ساعة، تريد أن تتصل..

طبعًا أخواتي صرن يعاملنها معــاملة أخت فصرن يعرضن عليها الإسلام ولكــنها تــــنفر.. تبتــعــد.. تــرفــض.. لا تــريــد.. لا تناقش.. لا تحب لماذا؟ لأنها من أســرة أرثوذكسية مــتعصبــة تكره الإسلام والمسلمين! فــقــالوا: فــوجدنا أن الــيأس بدأ يــتســرب إلى قلوبــنا ولكن لا يأس مع الإصرار.. يقــول فكنت أدعم أخــواتي في المناقشــة وأصر عليهــا وكنت أتدخل أحــيــانًا وذهبت في أحد الأيــام إلى مكتب الدعــوة في تلك البلد وطلبت من صــاحــب المكتب «طبــعًا صــاحب المكتب هو الذي يحــدثني» يقــول: دخل عليَّ هذا الرجل فــقــال لي هل عندك كــتب تتــحــدث عن الإسلام باللغــة الروسية أو الإنجلــيزية؟ فقلت: نعم عندي. لكنــها قليلة، فقد انتــهت، أعطيك ما لدي، وممكن أن تأتيني بعد أسبــوع أو عشرة أيام وأعطيك دفعة أخرى.. أخذ هذه الدفــعة القليلة وذهب.. وبعد فترة من

الزمن جاء، ولكن جاء ومعه ٤ نسوة ثلاثة عليهن شبه حجاب «الوجه يظهر والكفين» أما الرابعة فكانت آية في الجمال عليها بعض الستر، ولكن شعرها ظاهر، ووجهها ظاهر، فطلبت منه بسرعة أن يدخل النساء إلى غرفة انتظار النساء فدخل وجلس. وقال لي: إن هذا المرأة الروسية قصتها كذا وكذا.. وأنا جئت الأسبوع الماضي أو قريب منه طلبت كتبًا، وأريد الآن كتبًا أخرى، وأشرطة لأنني عرضت عليها الإسلام، فبدأت توافق ووعدتها بالزواج منها إن أسلمت.. يقول: أعطيته مجموعة أخرى من الكتب وذهب بها ثم رجل إليَّ بعد فترة وقال: إنها وافقت على الإسلام وتريد أن تعلن إسلامها قال المتحدث.. ثم طلبت منها أن تقرأ جملة من الكتب؛ لأن النظام في ذلك البلد يتطلب عمل اختبار.. فقرأتها، ثم جاء بها إليَّ فاختبرتها، فنجحت، ثم وعدته وقتًا آخر ليأخذ صك إعلان الإسلام ـ في قصة طويلة ـ فالخلاصة..

عندما أعلنت إسلامها قلت له: هناك مجموعة من الأخوات في أحد الدور يتعلمن القرآن الكريم ويعلمنه وهن متميزات بالعلم والثقافة والدراسة العالية.. بمعنى أنه من الممكن أن يتفاهمن مع هذه المرأة بلغتها أو على الأقل بالإنجليزية.. يقول انتهى الأمر إلى هذا.. يقول: بعد فترة جاء إليَّ ومعه هذه الزوجة لاستلام الوثيقة المصدقة.. وثيقة الزواج تتأخر.. يقول أبشرك أنني تزوجت وأنا مرتاح الآن ومبسوط ولله الحمد والمنة لكن.. الذي أثارني أن هذه المرأة متغطية تمامًا ليست كأخواتي وأمي.. غريب عليها حجاب كامل لا يظهر منها شيء! يقول المتحدث: فسألته من باب اللطافة لماذا هكذا؟ قال: هذه لها قصة بسيطة ظريفة يقول:

بعد الزواج ذهبت أنا وهي إلى السوق لشراء بعض الحاجات فرأت زوجتي امرأة متحجبة وهي أول مرَّة ترى فيها امرأة متحجبة تمامًا فاستغربت من هذا الشكل!! أول مرَّة ترى هذا الشكل!! فقالت: لماذا هذه المرأة بهذا الشكل؟! أكيد هذه المرأة فيها علَّة تخفيها؟!

يقول: أنا من دافع الغيرة الإسلامية قلت: لا... هذه المرأة تحجبت الحجاب الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده، والذي أمر به رسوله عليه السلام، يقول: فقالت لي بعد تفكير: نعم فعلاً هذا هو الحجاب الإسلامي قلت: وما أدراك؟ قلت: أنا الآن إذا دخلت أي محال تجاري لا تنزل أعين أصحاب المحل عن وجهي! تكاد أن تلتهم وجهي قطعة قطعة!! إذن وجهي هذا لابد أن يُغطى.. لابد أن يكون لزوجي فقط إذن.. لن أخرج من هذا السوق إلا بحجاب.. يقول والله واضطررت أن أشتري لها حجابًا ولبست هذا الحجاب.

يقول هذا الرجل «المتحدث» انقطعت أخبار هذا الرجل زوج الروسية وهو أعتقد أنه قال: إنه من فلسطين انقطعت أخباره فترة طويلة من الزمن خمسة أو ستة أشهر أو قريب من ذلك.. يقول ثم جاء إلي بعدها فسألته عن انقطاعه فقال لي لا: أنا ما انقطعت عنك لأن هناك مصلحة انتهت، فقطعتها لانتهاء المصلحة.. لا.. بل لأن هناك ظروفًا دعتني إلى هذا الانقطاع وجئت إليك الآن لأرويها لك لأن فيها درسًا وعبرة.. وهي أيها الأحبة الكرام لب موضوعنا الآن.

يقول: بعد أن تزوجت هذه المرأة وعشت معها مرتاحًا وأحببتها حبًا كاملاً ملك عليَّ كل كياني.. كل قلبي.. كل ضميري.. كل أحاسيسي

ومشاعري.. يقول وقعنا في مشكلة أن جواز هذه المرأة قد انتهى، ولابد أن يُجدد، والإشكالية الأخرى أن هذا الجواز لابد أن يُجدد من ذات المدينة الذي تنتمي إليها المرأة، إذ لابد من السفر، وإلا تعتبر إقامتها إقامة غير نظامية، فقررنا أن نسافر إلى روسيا، طبعًا الحالة المادية تستدعي البحث عن أرخص خطوط موجودة.. وفعلاً وجدنا أن أرخص خطوط هي الخطوط الروسية، فأخذنا مقعدين وركبنا الطائرة وركبت زوجتي بحجابها الكامل!! فناديتها يا امرأة.. يا أمة الله.. يا أمة الإسلام، نحن سنقع في إشكاليات الآن. قالت: يا خالد أنت الآن تريد مني أن أطيع هؤلاء الكفرة الفجرة، وقود النَّار لو ماتوا على ما هم عليه! وأعصي الله سبحانه وتعالى! لا يمكن أن يصدر هذا..

لاحظوا: إسلامها قريب.. كم لها وهي مسلمة! أشهر أو ربما أقل.. يقول: فركبنا، وبدأ الناس ينظرون إلينا، وبدأت المضيفات يوزعن الطعام، ومع الطعام الخمر، وبدأ الخمر يعمل في الرؤوس، وبدأت الألفاظ تخرج بدون ضابط.. فتندُّر وضحك، وسخرية، وإشارة، ونظرات.. ويقفون بجانبنا ويعلقون علينا!! يقول: أنا لا أفهم كلمة!! أما زوجتي، فتبتسم، فتضحك، وتترجم لي هذا يقول: انظروا إليها كأنها... وكأنها كذا! وهذا يعلق وهذا يتندر.. فأنا كلما قالت لي كلمة أحسست أن سهامًا تدخل قلبي ولا تخرج منه! أما هي فتقول: لا.. لا تحزن ولا يضيق صدرك، فهذا أمر بسيط في مقابل ما جابهه الصحابة، وما حصل لهؤلاء الصحابيات من بلاء وابتلاء..

يقول: وصلنا إلى المدينة المرادة وعندما نزلنا في المطار كان اتفاقي، أو

كـان في ذهني نظرة عـادية جـدًا، وهي أن نذهـب إلى أهلهـا، ونسكن عندهم، ثم بعد ذلك ننهي إجراءاتـنا ونعود. . لكن نظرة المرأة هذه كانت بعيدة. قالت: لا . . أهلي متميزون بتـمسكهم، أو عصبيتهم لدينهم، فلا أريد أن أذهب الآن! لكن نستـأجر غرفة، ونـبقى فيهـا، وننهي إجراءات الجـواز، ثم بعـد ذلك نـزور أهلي. . ونسكـن، فـرأيت أن هذا رأي صائب. . فـاستأجـرنا غرفـة فعلاً، وانتظرنا فـيها، ومن الـغد ذهبنا إلى الجوازات، دخلنا على الموظف الأول والثاني والثالث، نريد إنهاء الإجراء، وكل منهم يطلب منا الجواز القديم، وصور المرأة. . فنخرج المرأة صورًا لها بالأسـود والأبيض، وعليهـا حجـاب لا يظهر في هذه الصـورة إلا دائرة الوجه فقط!!

فكل موظف يرفض يقول هذه صورة مخالفة، نريد صورة ملونة! ونريد صورة يظهر فـيها الوجه والشعـر والرقبة كاملة!! فـتقول المرأة لا يمكن أن أتصور هذه الصـورة أبدًا، فكل موظف يقـول: لا يمكن أن أعطيك جوازًا إلا بهـذه المواصـفـات. . وكل مـوظف يحـيلنا إلى الآخـر، والثـالث، والرابع. . إلى أن أحالونا إلى المديرة الأصلية في الفرع هذا، وكانت امرأة فذهبت إليها زوجـتي تقنعها ألا ترين صورتي الحقيقيـة وتقارنينها بالصور التي معك؟! قـالت: نعم؛ ولكن النظام يقول: لابد مـن صورة ملونة من المواصفات التالية. . فأصرت ورفـضـت فقالت لها المرأة: ما الحل؟ قالت المديرة: ـ طبعًا كانت خبيـثة فعلاً ـ قالت لن يحل لكم الإشكال إلا مدير الجوازات الأصلية الكبرى في موسكو!! فالتفتت إلى خالد، وقالت له: يا خالد نسافر إلى موسكو. وأخذ خـالد يحاول إقناعها «لا يكلف الله نفسًا

لا وسعها» «فاتقوا الله ما استطعتم» وأنتِ الآن لستِ مُلزمة.. جواز سيراه مجموعة من الأشخاص فقط للضرورة، ثم تخفينه في بيتك إلى أن تنتهي مدته! فقالت: لا.. لا يمكن أن أظهر بصورة متبرجة بعد أن عرفت دين الله سبحانه وتعالى: «الله أكبر» إذا كنت رافضًا أن أسافر إلى موسكو، فلعلي للضرورة أسافر لوحدي، وألتمس في ذلك حكمًا بأن الأمر ضروري، يقول: قررتُ، فسافرتُ، ووصلنا موسكو، واستأجرنا غرفة وسكنَّاها، ومن الغد ذهبنا إلى مدير الجوازات، طبعًا دخلنا على الموظف الأول فالثاني فالثالث، وفي نهاية المطاف وصلنا إلى المدير الأصلي؛ دخلنا عليه، وكان من أشد الناس خبثًا! فعندما رأى الجواز ورأى الصور قال: من يثبت لي أنك صاحبة هذه الصور؟! يريد أن تكشف وجهها قالت له: قل لأحد الموظفات عندك أو السكرتيرات تأتي وتقارن أما أنت فلن تقارن! فغضب وأخذ الجواز وأخذ الصور وجعلها مع بعض وأدخلها في درج مكتبه وأغلقها وقال: ليس لكِ جواز قديم ولا جديد إلا بعد أن تأتين إلي بالصور المطابقة تمامًا.. يقول: حاولنا أن نقنعه لكن بلا فائدة! فعدت كذلك أناقشها في قضية «لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها» ولكنها ترد علي بآية وتقول لي: يا خالد لقد تعلمت في دار تحفيظ القرآن «ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه منه حيث لا يحتسب» طبعًا أثناء النقاش بيني وبينها غضب مدير الجوازات فطردنا من المكتب.. خرجنا من دار الجوازات بأكملها، وذهبنا لنتدارس الأمر في غرفتنا أنا أقنع وهي تُقنع.. أنا آتي بحجة، وهي تأتي بحجة.. إلى أن جاء الليل.. صلينا العشاء ثم أكلنا ما يتيسر ثم أردت أن أنام.. فقالت لي: خالد تنام!! في هذا الموقف

العصيب تنام!! نحن نعيش موقفًا يحتاج منا إلى لجوء إلى الله.. قم الجأ إلى الله فإن هذا وقت اللجوء..

يقول: فقمت وصليت ما شاء الله لي أن أصلي ثم نمت، أما هي فاستمرت تصلي.. كلما استيقظت أنا ونظرت رأيتها إما راكعة أو ساجدة أو قائمة أو داعية أو باكية إلى أن ظهر الفجر ثم أيقظتني. وقالت: لقد دخل وقت الفجر، فهلم نصلي سويًا.. يقول: قمت وتوضأت وصلينا ثم نامت قليلاً.. ثم بعد ذلك قالت: هيا لنذهب إلى الجوازات.. فقلت لها: نذهب!! بأي حجة؟! أين الصور؟! ليس معنا صور.. قالت: لنذهب ونحاول.. لا تيأس من روح الله.. لا تقنط من رحمة الله.. يقول: ذهبنا ووالله منذ وطئت أقدامنا أول مكتب من مكاتب الجوازات، زوجتي شكلها مميز معروف واضح.. عباءة كاملة تغطي كل أجزاء جسدها.. وإذا بأحد الموظفين ينادي: فلانة بنت فلان. فتقول: نعم! قال: خذي جوازك أنهي الجواز بذات المواصفات المطلوبة، ولكن ادفعوا الرسم قبل ذلك!

يقول: فرحنا، ووالله لو طلبوا كل المال الذي معنا لدفعناه.. أخذنا الجواز ودفعنا الرسم ثم عدنا، وهي تنظر إلي وتقول: ألم أقلك لك: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ يقول: والله لهذه الكلمة التي صدرت منها حفرت في قلبي تربية إيمانية لم أتلقها منذ سنين طوال من تربية تلقيتها من دروس ومحاضرات سمعتها إلى غير ذلك..

فقال له الموظف أثناء ذلك: لابد أن تختم الجواز من مدينتك أيتها المرأة التي تنتمين إليها، فتقول هذه المرأة.. وفعلاً ذهبنا إلى مدينتنا وقلت:

فرصة نزور أهلي.. بعد ذلك استأجرنا غرفة وختمنا الجواز، وجعلنا فيها كل ما يخصنا ثم ذهبت أنا وخالد لزيارة أهلي طرقنا الباب.. ففتح الباب أحد الشباب الكبار عندما نظر إلى أخته فرح واستغرب!! أصيب بفرحة وردة فعل!! الوجه وجه أخته.. اللباس ليس لباس أخته!! سواد يغطي كل شيء إلا الوجه! زوجتي دخلت وهي تبتسم وتعانق أخاها ثم بعد ذلك دخلتُ وراءها فجلستُ في صالة المنزل كان منزلاً شعبيًا بسيطًا متواضعًا تحس آثار الفقر فيه.

يقول: جلست وحيدًا، أما هي فدخلت البيت أسمع كلامهم رجال ونساء وكلام بالروسية لا أفقه ما يقولون! ولا أعرف عن ماذا يتحدثون! ولكنني بدأت أسمع نبرات الصوت تزداد!! واللهجة تتغير!! والصراخ يزيد!! فأحسست أن الأمر فيه شر!! ولكني لا أستطيع أن أقدر الأمور بقدرها بناءً على عدم فقه اللغة..

وبعد مضي فترة من الزمن، وإذا بثلاثة من الشباب ورجل كهل يدخلون علي.. توقعت أن هذا بداية الترحيب بزوج ابنتهم! وإذا بالترحيب ينقلب إلى لكمات وضربات وكفوف!! فعندما نظرت إلى نفسي بين هؤلاء الوحوش رأيت أنني سأودع الدنيا، وليس أمامي إلا الهرب للنجاة كان هو المقياس الذي أريد أن أطبقه لأنجو.. وفعلاً فتحت الباب مسرعًا وهربت وهم ورائي فضعت بين الناس، ثم اتجهت إلى غرفتي وكانت ليست ببعيدة عن المنزل.. نظرت إلى نفسي، وإذا ورمات في جبهتي وفي خدّي وفي أنفي، وإذا بالدم يسيل من فمي وثيابي ممزقة، تلّقيت ضربات عنيفة جدًا.. قلت: الآن أنا نجوت لكن ما حال زوجتي؟! يقول: نسيت

نفسي بـدأت أفكر في زوجتي . . مشكـلتي أنني أحببت زوجـتي!! أنني عـشـقت زوجتي!! لـذلك لا يمكن أن أنسى وأفكر في نفـسي!! كـانت صورتها أمام ناظري هل فعلاً هي تتعرض في هذه اللحظة لنفس اللكمات والضربات والصـفعات التي تلقـيتها!! أنا رجل وتحـملت. . هي امرأة لن تتحـمل!! أكيد سـتنهار. . أكـيد سـتتركني. . أكيـد سترتد. . أكـيد. . وأكيـد!! بدأ الشيطان يعمل عـمله، وبدأت الأفكار تنقلب في رأسي يمنة ويسرة لتستقر على أن لا زوجة لك بعد اليوم!!

ماذا أفعل؟ أذهب. . لا يمكن. . النفس في ذلك البلد رخيصة ممكن أن يُستأجر رجل لقتلي بعشر دولارات! إذن لابد أن أبقى في البيت. . فبقيت في غـرفتي إلى أن أصـبح الصـباح ثم غـيـرت ملابسي وذهبت أتجسَّس الأخبار أنـظر إلى بيتهم عن بعد أراقـبه وأتابع كل ما يحصل فـيه. . لكن الباب مـغلق وفجـأة فتح البـاب وخرج منه ثلاثـة من الشبـاب، وكهل، وهؤلاء الشبـاب هم الذين ضربوني! وقد بدا لي من هيـأتهم أنهم ذاهبون إلى أعمالهم. . أغلق الباب وأقفل! أما أنا فأراقب وأترقب وأنظر أتمنى أن أرى وجه زوجتي، ولكن لا فائدة. . وإذا بالرجـال يقدمون من عملهم. . ساعـات طوال يقول: وأنا أراقب وأذهب وآتي في ذات الـشارع ولكن لا فائدة. . وفي اليوم الثاني كررته وكـذلك في اليوم الثالث كررته. . يقول: يئســت، توقعت أن زوجتي مـاتت. . أنها قـتلت!! لكن لو كانـت ماتت على الأقل سيكون هناك حركة في الـبيت. . سيكون هناك نوع من العزاء القليل من بعض الأقـربين! لكن لا أرى شـيـئًا. إذن لا زالت عـلى قيـد الحيـاة. . في اليـوم الرابع بعد أن ذهب هؤلاء إلى أعـمالهم وإذا بالـباب

يفتح.. وإذا بوجه زوجتي ينظر يمنة ويسرة يقول: لم أر منظرًا في حياتي أروع من ذلك المنظر! ولا أجمل من ذلك المنظر أبدًا! لا أتخيَّل أنني رأيت أفضل منه وأجمل منه، بالرغم من أن ذلك الوجه الذي رأيته كان وجهًا أحمر.. مخضبًا بالدماء!!

اقتربت مسرعًا.. نظرت إليها دهشت.. كدت أن.. لأنها انقلبت إلى لون أحمر!

الدماء على وجهها.. على ساعديها.. على فخذيها.. على ساقيها ليس هناك إلا خرقة بسيطة تسترها! وإذا بأقدامها مربوطة بسلسلة! وإذا يديها مربوطة بسلسلة من خلف ظهرها! عندما نظرت إليها بكيت لم أستطع أن أتمالك نفسي.. قالت لي: اسمع يا خالد.. أولاً: اطمئن عل،ي فأنا لا زلت على العهد، والله الذي لا إله إلا هو إنما ألاقيه الآن لا يساوي شعرة مما لاقاه الصحابة والتابعون، بل والأنبياء والمرسلون قبلهم!

الله أكبر.. يا لها من امرأة!!

الثاني: أرجوك يا خالد لا تتدخل بيني وبين أهلي. الثالثة: انتظر في الغرفة إلى أن آتيك إن شاء الله، ولكن أكثر من الدعاء.. أكثر من قيام الليل.. أكثر من الصلاة، فإن الصلاة هي الملجأ بعد الله سبحانه وتعالى.

يقول: ذهبتُ وبقيت أنا في غرفتي يوم.. يومين.. ثلاثة.. وفي آخر اليوم الثالث وإذا بالباب يُطرق!! من؟ من بالباب؟! أول مرة أسمع الباب يطرق؟ أصبت بخوف شديد من الذي أتى في هذا الوقت المتأخر من

الليل!! لعل هؤلاء الرجال علموا بي.. لعل زوجتي اعترفت نتيجة للضرب والجلد.. فقالت إنه يسكن في الغرفة الفلانية فجاؤا إلى قتلي!! أصبت برعب الموت.. لم يبق بيني وبين الموت شعرة.. وأنا أقول في هذه اللحظة من بالباب؟ وأنا أشعر فعلاً أن يدي وقدمي قد وصل الموت إليهما، وإذا بصوت ينساب لم أسمع أروع منه.. ولا أجمل منه.. إنه صوت زوجتي.. فتحت الباب أضأتُ النور فقالت لي: الآن نذهب! قلت على وضعك الآن؟ قالت: نعم.

أخرجتُ بعض الملابس البسيطة التي معي فلبستها، وأخرجَت هي حجابًا وعباءة احتياطية فلبستها ثم أخذنا كل ما لدينا وركبنا السيارة وقلت له: المطار« عرفت كلمة المطار بالروسية»، فقالت زوجتي: لا.. لن نذهب إلى المطار،نذهب إلى القرية الفلانية قلت لماذا؟ نحن نريد أن نهرب!!

قالت: لا.. هم إذا عرفوا بهروبي سيبحثون عنا في المطار لكن نهرب إلى القرية إلى قرية كذا.. ثم من قرية كذا إلى قرية أخرى وثالثة ورابعة هكذا إلى مدينة من المدن التي فيها مطار دولي.. وفعلاً وصلنا إلى المطار الدولي وحجزنا وكان الحجز متأخرًا ثم استأجرنا غرفة وسكناها يقول: أنظر إلى زوجتي يا الله ليس هناك موضع لم من الدماء أبدًا!! يقول: أثناء الطريق كنت أسألها ما الذي حصل؟ قالت: عندما دخلنا إلى البيت جلست مع أهلي قالوا لي ما هذا اللباس؟ قلت: إنه لباس الإسلام. قالوا: ومن هذا الرجل؟ قلت: هذا زوجي.. أنا أسلمت وتزوجت بهذا الرجل المسلم! قالوا: لا يمكن هذا.. فقلت اسمعوا أحكي لكم القصة

أولاً.. فحكيت لهم القصة قصة ذلك الرجل الروسي الذي أراد أن يجرُّها إلى الدعارة وبيع العرض! قالوا لها: «اسمعي لو سلكتي طريق الدعارة وبعتِ عرضكِ كان أحب إلينا من أن تأتيننا مسلمة»!!

انظروا إلى التعصب الشديد عند هؤلاء القوم. قالوا لها: لن تخرجي من هذا البيت إلا أرثوذكسية أو جثة هامدة!! تقول: ومن تلك اللحظة أخذوني ثم كتفوني، ثم جاءوا إليك وبدأوا يضربونك، وأنا أسمع الضرب وأنا مربوطة.. عندما هربت أنت، رجع إخوتي وذهبوا واشتروا سلاسل فربطوني بها، وبدأوا يجلدونني.. فأتعرض للجلد المبرح بأسواط عجيبة.. غريبة!! منذ العصر إلى وقت النوم!! أما في الصباح فإخواني في الأعمال وأبي.. وأمي في البيت، وليس عندي إلا أخت صغيرة عمرها ١٥ سنة تأتي إليَّ وتتندَّر بي، وهذا التندر هي فترة الراحة الوحيدة عندي! فأما أنا فأنام وأنا مغمىً علي!! يجلدونني إلى أن يغمى علي وأنام!! وكانوا يطلبونني فقط بأن أرتد وأنا أرفض.. بعد ذلك حصل أن أختي أثناء التندر بدأت تسألني لماذا تتركين دينك.. دين أمك.. دين أجدادك و..و.. إلخ؟! فكدت أقنعها.. أبين لها وأوضح لها، فبدأت فعلاً تشعر بالقناعة.. تشعر بالاقتناع.. بدأت تتأثر! بدأت الصورة أمامها تتضح! بدأ الباطل الذي تعيش فيه يظهر!! ففعلاً قالت: معكِ حق هذا هو الدين الصحيح.. هذا هو الدين الذي ينبغي أن ألتزمه أنا!! عند ذلك قالت لي: «اسمعي يا أختي أنا سأعينكِ.. قلت له: إذا كنت تريدين إعانتي فاجعليني أقابل زوجي! فبدأت أختي تنظر من علو من فوق.. فتراني وأنا أمشي فكانت تقول لي إنني أرى رجلاً، صفته كذا وكذا،

فقلت: هذا زوجي!! إذا رأيتيه فافتحي لي الباب لأكلمه، وفعلاً فتحت الباب فخرجتُ وكلمتك.. لكن هناك مشكلة كنتُ مربوطة بسلسلتين، أما الثالثة فكان مفتاحها مع أختي وكانت هذه السلسلة هي التي قد ربطت بها في أحد أعمدة البيت حتى لا أخرج! طبعًا أختي معها هذا المفتاح حتى أتحرك في نطاق معين، ولو أردت أكرمكم الله الدورة، أو غير ذلك.. عندما خاطبتك طلبت منك أن تبقى إلى أن آتيك.. وفي الثلاثة أيام الثانية أو التالية أختي اقتنعت بالإسلام وقررت أن تضحي تضحية تفوق تضحيتي «لاحظوا.. تفوق تضحيتي»!! فقررت أن تجعلني أهرب من البيت، لكن مفاتيح السلاسل مع أخي! وهو حريص عليها، في ذلك اليوم أعدَّت أختي لإخوتي خمرًا مركزًا وجلسة خمر مركزة! فشربوا.. وشربوا.. إلى أن ثملوا تمامًا لا يعون بشيء.. ثم أخذت المفاتيح من جيبه، وفتحت السلاسل، وجئت أنا إليك في آخر الليل، فقال الزوج وأختكِ؟! قالت: ما يهم.. طلبتُ من أختي أن لا تعلن إسلامها علانية.. أن تستخدم السر الآن إلا أن نتدبَّر أمرها..

يقول الزوج: طبعًا حجزنا ورجعنا إلى البلد، وأدخلت زوجتي إلى المستشفى، ومكثت فيها عدة أيام بالعلاج من آثار الضربات والتعذيب..

[شريط: قصص مؤثرة/ الشيخ: إبراهيم الفارس]

* * *

اللحظات العصيبة

د. أيمن بن أسعد عبده/ كنت أقوم بالمرور اليومي على المرضى في غرفة العناية المركزة في ذلك المستشفى الكندي الذي كنت أتابع الدراسة الطبية العليا فيه، لفت انتباهي اسم المريض في السرير رقم: ٣، إنه محمد.. نظرت إليه وحوله الأنابيب وأجهزة الإنعاش.. إنه شاب في الخامسة والعشرين من العمر مصاب بمرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، أدخل إلى المستشفى قبل يومين بالتهاب حاد في الرئة وحالته خطرة جدًا، وشبه ميئوس منها.. لم يكن هذا أول مريض مسلم في بلاد الغرب أعالجه، ولكني أحسست نحوه شعور خاص لا أعرف سببه بعد انتهاء المرور الصباحي، اختلست لحظات واقتربت من هذا الشاب، حاولت أن أكلمه برفق، إنه يسمعني، ولكنه لا يستطيع أن يجيب إلا بكلمات غير مفهومه.. اتصلت ببيته، ردت علي أمه، يبدو أنهم من أصول عربية لبنانية، أبوه تاجر كبير في المدينة يمتلك محلات حلويات شرحت للأم حالة ابنها، وأثناء حديثي معها بدأت أجراس الإنذار تتعالى بشكل مخيف من الأجهزة الموصلة بذلك الفتى، مؤشرة على هبوط حاد في الدورة الدموية، ارتبكت في حديثي مع الأم، قلت لها: ربما يكون الوقت متأخرًا عندها. وأغلقت السماعة بعد نصف ساعة، طلبت مني الممرضة أن أحضر للقاء والدة المريض، امرأة في متوسط العمر، لا تبدو عليها مظاهر الإسلام، بدت مضطربة، شرحت لها الوضع الحرج لابنها، انهارت

باكيـة، حاولت تهـدئتهـا، قلت لها: اسـألي الله له الشفـاء، نظرت إلي بدهشة. مـاذا قلت؟ قلت: تعلقي بالله، واسألي له الشفـاء، قالت: أنت مسلم؟ قلت: الحـمد لله، قالت: نحن مـسلمون كذلك. قلت: مـا شاء الله، لماذا لا تذهبين عند رأسه وتقرئين عليه شـيئًا من القرآن؟ لعل الله أن يخفف عنه، انتـفضت بارتباك، وقد انخرطت في بـكاء مرير، قالت: لا أعرف، قلت: كـيف تصلين؟ قالت: نحن لا نصلي! إلا في العـيد، منذ أن أتينا إلى هذا البلد، ولكني أذهب لزيارة أضرحـة أجدادي في لبنان كل عامين، وأدعو لهم دون علم زوجـي، أنا امرأة متدينة، سألتـهـا عن حال ابنها، قالت: كان طيب القلب يحب الحياة، ولكنه انحرف قليلاً في السنة الماضية مع تلك الفـتاة، التي استولت عليه، وكان حـاله على أحسـن ما يرام! قلت: هل كـان يصلي؟ قـالت: لا، ولكنه كـان ينوي أن يحج في آخر عمره!!

اقتـربت من الفـتى المسكين، وهو يعالج سكرات الموت، أجـهزة المنـبه تتعـالى، الأم تبكي بصوت مسمـوع، المرضات ينظرون بدهشـة، جاهدًا حولت أن ألقن الفتى الشهادتين، الفتى يفيق شيئًا ما، قل: لا إله إلا الله، الفتى يحاول بكل جوارحـه، الدموع تفتر من أطراف عينيه، وجهـه يتغير لونه إلى السـواد، قل: لا إله إلا الله. لقـد بدأ يتكلـم بصـوت خـافت مـرتجف، آه، آه، ألم شـديد، أريد مسـكنًا للألم. قل: لا إله إلا الله.. الفتى يحاول، شفتاه ترتجـفان، يا إلهي سينطـقها. I cant I cant.. أريد صديقتي، أريد صديقتي، لا أستطيع!

النبض يتناقص.. والتنفس يتلاشى.. لم أتمالك نفسي.. أخذت أبكي

بحـرقـة.. وأعـاود المحـــاولة: أرجـوك قلـهـا.. لا أسـتـطيع! توقف النبض، وأنا ممسك بيـد الفتى في ذهول تام.. والأم مـرتمية علـى صدره تصرخ، ووجه الـفتى غطاه سواد كالح.. لم أتمالك نفـسي.. نسيت كل الأعراف الطبـية.. وذهبت من حساسـية الموقف.. انفجرت صـارخًا في الأم:

أنت المسؤولة.. أنت وأبوه.. ضيعتم الأمانة ضيعكم الله!!

* * *

توبة أم على يد ابنتها

كانت فاطمة جالسة حين استقبلت والدتها جارتها التي قدمت لزيارتها، كادت الأم تصعق، وهي ترى ابنتها لا تتحرك من مقعدها، فلا تقوم للترحيب معها بالجارة الطيبة الفاضلة التي بادرة - برغم ذلك إلى بسط يدها لمصافحة فاطمة، لكن فاطمة تجاهلتها، ولم تبسط يدها للجارة الزائرة، وتركتها لحظات واقفة باسطة يدها أمام ذهول أمها التي لم تملك إلا أن تصرخ فيها: قومي وسلمي على خالتك، ردت فاطمة بنظرات لا مبالية دون أن تتحرك من مقعدها، كأنها لم تسمع كلمات أمها!

أحست الجارة بحرج شديد تجاه ما فعلته فاطمة، ورأت فيها مسا مباشرًا بكرامتها، وإهانة لها، فطوت يدها الممدودة، والتفتت تريد العودة إلى بيتها، وهي تقول: يبدو أنني زرتكم في وقت غير مناسب!

هنا قفزت فاطمة من مقعدها، وأمسكت بيد الجارة وقبلت رأسها وهي تقول: سامحيني يا خالة.. فوالله لم أكن أقصد الإساءة إليك، وأخذت يدها بلطف ورفق ومودة واحترام، ودعتها لتقعد وهي تقول لها: تعلمين يا خالتي كم أحبك وأحترمك؟!

نجحت فاطمة في تطييب خاطر الجارة ومسح الألم الذي سببته لها بموقفها الغريب، غير المفهوم، بينما أمها تمنع مشاعرها بالغضب من أن تنفجر في وجه ابنتها، قامت الجارة مودعة، فقامت فاطمة على الفور،

وهي تمد يدها إليها، وتمسك بيدها الأخرى يد جارتها اليمنى، لتمنعها من أن تمتد إليها وهي تقول: ينبغي أن تبقى يدي ممدودة دون أن تمدي يدك إلي لأدرك قبح ما فعلته تجاهك. لكن الجارة ضمت فاطمة إلى صدرها، وقبلت رأسها، وهي تقول لها: ما عليك يا ابنتي.. لقد أقسمت أنك ما قصدت الإساءة.

ما إن غادرت الجارة المنزل، حتى قالت الأم لفاطمة في غضب مكتوم: ما الذي دفعك إلى هذا التصرف؟

قالت: أعلم أنني سببت لك الحرج يا أمي فسامحيني.

ردت أمها: تمد إليك يدها، وتبقين في مقعدك، فلا تقفين لتمدي يدك، وتصافحيها؟!

قالت فاطمة: أنت يا أمي تفعلين هذا أيضًا!

صاحت أمها: أنا أفعل هذا يا فاطمة!

قالت: نعم تفعلينه في الليل والنهار!

ردَّت أمها في حدة: وماذا أفعل في الليل والنهار؟

قالت فاطمة: يمدك إليك يده فلا تمدين يدك إليه!

صرخت أمها في غضب: من هذا الذي يمد يده إليَّ ولا أمد يدي إليه؟!

قالت فاطمة: الله، يا أمي.. الله سبحانه يبسط يده إليك في النهار لتتوبي.. ويبسط يده إليك في الليل لتتوبي.. وأنت لا تتوبين.. لا تمدين يدك إليه، تعاهدينه على التوبة.. صممت الأم، وقد أذهلها كلام ابنتها.

واصلت فاطمة حديثها: أما حزنت يا أمي حينما لم أمد يدي لمصافحة

جارتنا، وخشيت من أن تهتز الصورة الحسنة التي تحملها عني؟ أنا يا أمي أحزن كل يوم، وأنا أجدك لا تمدين يدك بالتوبة إلى الله سبحانه الذي يبسط يده إليك بالليل والنهار.

يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» [رواه مسلم].

فهل رأيت يا أمي: ربنا يبسط يده في كل يوم مرتين، وأنت تقبضين يدك عنه، ولا تبسطينها إليه بالتوبة!

اغرورقت عينا الأم بالدموع !!

واصلت فاطمة حديثها وقد زادت عذوبته: أخاف عليك يا أمي وأنت لا تصلين، وأول ما تحاسبين عليه يوم القيامة الصلاة، وأحزن وأنا أراك تخرجين من البيت دون الخمار الذي أمركبه الله سبحانه، أم تحرجي من تصرفي تجاه جارتنا.. أنا يا أمي أحرج أمام صديقاتي حين يسألنني عن سفورك وتبرجك، بينما أنا محجبة.

سالت دموع التوبة مدراراً على خدي الأم، وشاركتها ابنتها فاندفعت الدموع غزيرة من عينيها، ثم قامت إلى أمها التي احتضنتها في حنو بالغ، وهي تردد:

«تبت إليك يا رب.. تبت إليك يا رب»

* * *

الصبر في أحلى صوره !!

هذه القصة هي جـزء مهم وحساس من سيـرة التابعي الجليل «عروة بن الزبير»، وصدق الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يوسف: ١١١].

عروة بن الزبيـر أحد علمـاء وعباد التـابعين، وهو أحد أبناء الصـحابي الجليل الزبيـر بن العـوام رضي الله عنه (حـواري الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام)، وأمـه أسمـاء بنت أبي بـكر رضي الله عنهـا (ذات النطاقين) وخالتـه عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهمـا (أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ)، وأخوه الأكبر عبد الله بن الزبير (الصحابي العالم المجاهد،وهو من طاف بالكعبة المشرفة سباحة حين أحاطت بها السيول من كل جانب».

نعـود إلى عروة رحمـه الله، وسوف استـجـزئ من حيـاته هذا الموقف العجيب، وهذا الجـبل من الصبر على قضاء الله وقدره، ثم أخـتم القصة برأس الطفل الذي في فم الذئب.

كانت هذه القـصة في عـهد الخليفـة الوليد بن عـبد الملك، فـقد طلب الخليفة الوليد بن عبد الملك عروة بـن الزبير لزيارته في دمشق مقر الخلافة الأموية، فتجهز عروة للسـفر من المدينة النبوية إلى دمشق، واستعان بالله، وأخذ أحـد أولاده معـه (وقد كـان أحب أبنائه السبـعة إليه) وتـوجه إلى الشام، فـأصيب في الطريق بمرض في رجلـه أخذ يشتـد ويشتـد حتى أنه دخل دمشق محمولاً لم يعد لديه قدرة على المشي.

انزعج الخليفة حينما رأى ضيفه يدخل عليه دمشق بهذه الصورة، فجمع له أمهر الأطباء لمعالجته، فاجتمع الأطباء، وقرروا أن به الآكلة (ماتسمى في عصرنا هذا الغرغرينا) وليس هناك من علاج إلا بتر رجله من الساق، فلم يعجب الخليفة هذا العلاج، ولسان حاله يقول: «كيف يخرج ضيفي من بيت أهله بصحة وعافية، ويأتي إليَّ أبتر رجله وأعيده إلى أهله أعرج»، ولكن الأطباء أكدوا أنه لا علاج له إلا هذا، وإلا سرت إلى ركبته حتى تقتله، فأخبر الخليفة عروة بقرار الأطباء، فلم يزد على أن قال: «اللهم لك الحمد».

اجتمع الأطباء على عروة. وقالوا: اشرب المرقد. فلم يفعل، وكره أن يفقد عضواً من جسمه دون أن يشعر به. قالوا: فاشرب كأسًا من الخمر حتى تفقد شعورك. فأبى مستنكرًا ذلك، وقال: كيف أشربها وقد حرمها الله في كتابه. قالوا: فكيف نفعل بك إذًا؟! قال: دعوني أصلي فإذا أن قمت للصلاة نشأنكم وما تريدون!! وقد كان رحمه الله إذا قام يصلي سها عن كل ما حوله وتعلق قلبه بالله تعالى.

فقام يصلي، وتركوه حتى سجد، فكشفوا عن ساقه، وأعملوا مباضعهم في اللحم حتى وصلوا العظم فأخذوا المنشار وأعملوه في العظم حتى بتروا ساقه، وفصلوها عن جسده، وهو ساجد لم يحرك ساكنًا، وكان نزيف الدم غزيرًا فأحضروا الزيت المغلي وسكبوه على ساقه ليقف نزيف الدم، فلم يحتمل حرارة الزيت، فأغمي عليه.

في هذه الأثناء أتى الخبر من خارج القصر أن ابن عروة بن الزبير كان يتفرج على خيول الخليفة، وقد رفسه أحد الخيول فقضى عليه، وصعدت

روحه إلى بارئهـا!! فاغتم الخليـفة كثيـرًا من هذه الأحداث المتتـابعة على ضيفه، واحـتار كيف يوصل له الخبر المؤلم عن انتهاء بتـر ساقه، ثم كيف يوصل له خبر موت أحب أبنائه إليه.

ترك الخليفة عروة بن الزبير حتى أفـاق، فاقترب إليه، وقال: أحسن الله عـزاءك في رجلك، فـقال عـروة: اللهم لـك الحمـد، وإنَّا لله وإنَّا إليـه راجعون. قـال الخليفة: وأحسن الله عزائك في ابنك. فـقال عروة: اللهم لك الحمد! إنا لله وإنا إليه راجعون! أعطاني سبعة وأخذ واحدًا، وأعطاني أربعة أطراف وأخـذ واحدًا، إن ابتلى فطالما عافـا، وإن أخذ فطالما أعطى، وإني أسأل الله أن يجمعني بهما في الجنة.

ثم قدمـوا له طستًا فيـه ساقه وقـدمه المبتورة قـال: إن الله يعلم أني ما مشيت بك إلى معصية قط، وأنا أعلم.

بدأ عروة رحمـه الله يعود نفسه على السيـر متوكئًا على عـصا، فدخل ذات مرة مجلس الخليفة، فوجد في مـجلس الخليفة شيخًا طاعنًا في السن مهشم الوجـه أعمى البصر، فقال الخليـف: يا عروة سل هذا الشيـخ عـن قصتـه، قـال عروة: مـا قصتك يا شيخ؟ قـال الشيخ: يا عروة اعلم أني بت ذات ليلة في وادٍ، وليس في ذلك الـوادي أغنى مني، ولا أكثـر مني مالاً وحلالاً وعيـالاً، فأتانا السيل بالليل، فأخذ عيـالي ومالي وحلالي، وطلعت الشمس وأنا لا أملك إلا طفلاً صغيرًا وبعيرًا واحدًا، فهرب البعير فأردت اللحـاق به، فلم أبتعد كثـيرًا حتى سمـعت خلفي صراخ الطفل، فالتـفتُ فإذا برأس الطفل في فم الذئب، فانطلقت لإنقـاذه فلم أقدر على ذلك فقد مـزقه الذئب بأنيابه، فعدت لألحق بـالبعير فضـربني بخفه على

وجهي، فهشم وجهي، وأعمى بصري!!!

قال عروة: وما تقول يا شيخ بعد هذا؟

فقال الشيخ: أقول اللهم لك الحمد، تركت لي قلبًا عامرًا، ولسانًا ذاكرًا.

هكذا قرائي الكرام فليكن الصبر، وهكذا فليكن الإيمان بالقضاء والقدر.

رحم الله عروة بن الزبير وكثر الله من أمثاله الذين عرفوا معنى الإيمان بالقضاء والقدر حق الإيمان، وعرفوا الصبر في المصائب حق الصبر.

* * *



فتاة يتفتت لحمها !!

تروي إحدى الأخوات اللاتي يقمن بتغسيل الموتى في مدينة .... هذه القصة فتقول:

أنه في أحد الأيام اتصلت بي عائلة تطلب مني الحضور لديهم لغسل امرأة ميتة عندهم، فذهبت إليهم، وعندما دخلت الغرفة التي فيها الميتة وكنت أول من دخل...

فقام أهل البيت بإغلاق باب الغرفة بالمفتاح، وبقيت وحدي في الغرفة، وعندما بدأت بتغسيل جسمها فإذا لحمها يتفتت في يدي كأنه قطن، فأسرعت في غسلها وتجهيزها وانتهيت من ذلك، ولا أدري عن الميتة شيئًا، فشككت في الأمر، وظننت أن هذه المرأة مقتولة، فطرقت باب الغرفة فلم يفتح أحد، وانتابني خوف شديد فأخذت أعوذ نفسي وأقرأ الآيات والأدعية حتى هدأت نفسي.

ثم استنعت بالله، وبدأت بغسل الميتة، وكان كل ما أحتاجه معدًا، فلما كشفت عن وجه المرأة فإذا هو شديد السواد كأنما هو قطعة فحم، وشعرت بالخوف مرة أخرى إلا أنني تشجعت وقررت غسلها احتسابًا للأجر، ولست أدري كيف انتهيت، ثم طرقت الباب على أهل البيت ليفتحوا، فلم يصدقوا، فأكدت لهم أني قد انتهيت.

ولما فتحوا الباب خرجت مسرعة وعدت إلى منزلي، وبقيت ثلاثة أيام

لا أهنأ بنوم، ولا أكف عن البكاء، ثم اتصلت بأحد العلماء وذكرت له ما رأيت، فقال لي: أما السواد فيدل على أنها لم تكن تصلي، وأما تفتت اللحم فيدل على أنها كانت تتبرج ولا تتحجب.

وبعد انتهاء أيام العزاء ذهبت لأهل المرأة حتى أتأكد من الأمر، وقلت لهم: أريد أن أفهم لم قفلتم علي الباب؟ فقالوا: لقد جاء قبلك ثلاثُ نساء كلُّهن رفضن غسلها بعدما رأين وجهها، فلم يكن حلاً إلا أن نقفل عليك الباب؛ حتي تقومي بغسلها، ثم سألتهم عن حال المرأة، فقالوا: لم تكن تصلي، كما إنها لا تحتجب!!

لا حول ولا قوة إلا بالله.. يا الله.. يا رب أحسن خاتمتنا .. يا رب أحسن خاتمتنا..

* * *

إسلام قس

قد تكون هذه القصة غريبة على من لم يلتق بصاحبها شخصيًا، ويسمع ما قاله بأذنيه، ويراه بأم عينيه.. فهي قصة خيالية النسج، واقعية الأحداث، تجسدت أمام ناظري بكلمات صاحبها وهو يقبع أمامي قاصًا عليَّ ما حدث له شخصيًا، ولمعرفة المزيد بل ولمعرفة كل الأحداث المشوقة. دعوني أصطحبكم لنتجه سويًا إلى جوهانسبرغ مدينة مناجم الذهب الغنية بدولة جنوب أفريقيا حيث كنت أعمل مديرًا لمكتب رابطة العالم الإسلامي هناك.

كان ذلك في عام ١٩٩٦م، وكنا في فصل الشتاء الذي حل علينا قارسًا في تلك البلاد، وذات يوم كانت السماء فيه ملبدة بالغيوم، وتنذر بهبوب عاصفة شتوية عارمة، وبينما كنت أنتظر شخصًا قد حددت له موعدًا لمقابلته، كانت زوجتي في المنزل تعد طعام الغداء، حيث سيحل ذلك الشخص ضيفًا كريمًا عليَّ بالمنزل.

كان الموعد مع شخصية لها صلة قرابة بالرئيس الجنوب أفريقي السابق الرئيس نلسون مانديلا، شخصية كانت تهتم بالنصرانية وتروج وتدعو لها.. إنها شخصية القسيس (سيلي).. لقد تم اللقاء مع سيلي بواسطة سكرتير مكتب الرابطة عبد الخالق منير حيث أخبرني أن قسيسًا يريد الحضور إلى مقر الرابطة لأمر هام. وفي الموعد المحدد حضر سيلي

بصحبته شخص يدعي سليمان، كان ملاكمًا وأصبح عضواً في رابطة الملاكمة بعد أن منّ الله عليه بالإسلام، بعد جولة قام بها الملاكم المسلم محمد علي كلاي، وقابلت الجميع بمكتبي وسعدت للقائهم أيما سعادة، كان سيلي قصير القامة، شديد سواد البشرة، دائم الابتسام، جلس أمامي وبدأ يتحدث معي بكل لطف. فقلت له: أخي سيلي، هل من الممكن أن نستمع لقصة اعتناقك للإسلام؟ ابتسم سيلي، وقال: نعم بكل تأكيد.

قال سيلي: كنت قسيسًا نشطًا للغاية، أخدم الكنيسة بكل جد واجتهاد، ولا أكتفي بذلك، بل كنت من كبار المنصرين في جنوب أفريقيا، ولنشاطي الكبير اختارني الفاتيكان لكي أقوم بالتنصير بدعم منه، فأخذت الأموال تصلني من الفاتيكان لهذا الغرض، وكنت أستخدم كل الوسائل لكي أصل إلى هدفي، فكنت أقوم بزيارات متوالية ومتعددة، للمعاهد والمدارس والمستشفيات والقرى والغابات، وكنت أدفع من تلك الأموال للناس في صور مساعدات أو هبات أو صدقات وهدايا، لكي أصل إلى مبتغاي، وأدخل الناس في دين النصرانية.. فكانت الكنيسة تغدق علي، فأصبحت غنيًا فلي منزل وسيارة وراتب جيد، ومكانة مرموقة بين القساوسة، وفي يوم من الأيام ذهبت لأشتري بعض الهدايا من المركز التجاري ببلدتي وهناك كانت المفاجأة!!

ففي السوق قابلت رجلاً يلبس كوفية (قلنسوة)، وكان تاجرًا يبيع الهدايا، وكنت ألبس ملابس القسيسين الطويلة ذات الياقة البيضاء التي نتميز بها عن غيرنا، وبدأت التفاوض مع الرجل على قيمة الهدايا. وعرفت أن الرجل مسلم ـ ونحن نطلق على دين الإسلام في جنوب

أفريقيا : دين الهنود، ولا نقول دين الإسلام ـ وبعد أن اشتريت ما أريد من هدايا، بل: قل من فخاخ نوقع بها السذج من الناس، وكذلك أصحاب الخواء الديني والروحي، كما كنا نستغل حالات الفقر عند كثير من المسلمين، والجنوب أفريقيين لنخدعهم بالدين المسيحي وننصرهم. .

فإذا بالتاجر المسلم يسألني: أنت قسيس. . أليس كذلك؟!

فقلت له: نعم.

فسألني: من هو إلهك؟

فقلت له: المسيح هو الإله!

فقال لي: إنني أتحداك أن تأتيني بآية واحدة في (الإنجيل) تقول على لسان المسيح عليه السلام شخصيًا أنه قال: (أنا الله، وأنا ابن الله) فاعبدوني !!.

فإذا بكلمات الرجل المسلم تسقط على رأسي كالصاعقة، ولم أستطع أن أجيبه وحاولت أن أعود بذاكرتي الجيدة وأغوص بها في كتب الأناجيل وكتب النصرانية لأجد جوابًا شافيًا للرجل فلم أجد!! فلم تكن هناك آية واحدة تتحدث على لسان المسيح وتقول بأنه هو الله، أو أنه ابن الله. وأُسقط في يدي وأحرجني الرجل، وأصابني الغم وضاق صدري. . كيف غاب عني مثل هذه التساؤلات؟

وتركت الرجل وهمت على وجهي، فما علمت بنفسي إلا وأنا أسير طويلاً بدون اتجاه معين. . ثم صممت على البحث عن مثل هذه الآيات مهما كلفني الأمر، ولكنني عجزت وهزمت! فذهبت للمجلس الكنسي

وطلبت أن أجتمع بأعضائه، فوافقوا. وفي الاجتماع أخبرتهم بما سمعت فإذا بالجميع يهاجمونني ويقولون لي: خدعك الهندي.. إنه يريد أن يضلك بدين الهنود. فقلت لهم: إذًا أجيبوني!! وردوا على تساؤله. فلم يجب أحد!

وجاء يوم الأحد الذي ألقي فيه خطبتي ودرسي في الكنيسة، ووقفت أمام الناس لأتحدث، فلم أستطع، وتعجب الناس لوقوفي أمامهم دون أن أتكلم، فانسحبت لداخل الكنيسة، وطلبت من صديق لي أن يحل محلي، وأخبرته بأنني منهك.. وفي الحقيقة كنت منهارًا.. ومحطمًا نفسيًا..

وذهبت لمنزلي وأنا في حالة ذهول وهم كبير، ثم توجهت لمكان صغير في منزلي، وجلست أنتحب فيه، ثم رفعت بصري إلى السماء، وأخذت أدعو، ولكن أدعو من؟ لقد توجهت إلى من اعتقدت بأنه هو الله الخالق.. وقلت في دعائي:

«ربي.. خالقي.. لقد أقفلت الأبواب في وجهي غير بابك.. فلا تحرمني من معرفة الحق، أين الحق وأين الحقيقة؟ يا رب! يا رب! لا تتركني في حيرتي، وألهمني الصواب ودلني على الحقيقة».

ثم غفوت ونمت. وأثناء نومي، إذا بي أرى في المنام في قاعة كبيرة جدًا، ليس فيها أحد غيري.. وفي صدر القاعة ظهر رجل، لم أتبين ملامحه من النور الذي كان يشع منه وحوله، فظننت أن ذلك الله الذي خاطبته بأن يدلني على الحق.. ولكني أيقنت بأنه رجل منير.. فأخذ

الرجل يشير إلي ويناديني: يا إبراهيم! فنظرت حولي، فنظرت لأشاهد من هو إبراهيم؟ فلم أجد أحدًا معي في القاعة... فقال لي الرجل: أنت إبراهيم.. اسمك إبراهيم.. ألم تطلب من الله معرفة الحقيقة؟! قلت: نعم.. قال: انظر: إلى يمينك.. فنظرت إلى يميني، فإذا مجموعة من الرجال تسير حاملة على أكتافها أمتعتها، وتلبس ثيابًا بيضاء، وعمائم بيضاء، وتابع الرجل قوله: اتبع هؤلاء. لتعرف الحقيقة!! واستيقظت من النوم، وشعرت بسعادة كبيرة تنتابني، ولكني كنت لست مرتاحًا عندما أخذت أتساءل.. أين سأجد هذه الجماعة التي رأيت في منامي.. وصممت على مواصلة المشوار، مشوار البحث عن الحقيقة، كما وصفها لي من جاء ليدلني عليها في منامي.

وأيقنت أن هذا كله بتدبير من الله سبحانه وتعالى.. فأخذت أجازة من عملي، ثم بدأت رحلة بحث طويلة، أجبرتني على الطواف في عدة مدن أبحث وأسأل عن رجال يلبسون ثيابًا بيضاء، ويتعممون عمائم بيضاء أيضًا.. وطال بحثي وتجوالي، وكل من كنت أشاهدهم مسلمين يلبسون البنطال ويضعون على رؤوسهم الكوفيات فقط..

ووصل بي تجوالي إلى مدينة جوهانسبرغ، حتى أنني أتيت إلى مكتب استقبال لجنة مسلمي أفريقيا، في هذا المبنى، وسألت موظف الاستقبال عن هذه الجماعة، فظن أني شحاذ، ومد يده ببعض النقود فقلت له: ليس هذا أسألك. أليس لكم مكان للعبادة قريب من هنا؟ فدلني على مسجد قريب.. فتوجهت نحوه.. فإذا بمفاجأة كانت في انتظاري فقد كان على باب المسجد رجل يلبس ثيابًا بيضاء ويضع على رأسه عمامة.. ففرحت،

فهـو من نفس النوعية التـي رأيتها في منامي. . فـتوجهت إليـه رأسًا وأنا سعيد بما أرى! فإذا بالرجل يبـادرني قائلاً، وقبل أن أتكلم بكلمة واحدة: مرحبًا إبراهيم!! فتعجبت وصعقت بما سمعت!! فالرجل يعرف اسمي قبل أن أعرِّفه بنفـسي، فتابع الرجل قائلاً: لقـد رأيتك في منامي بأنك تبحث عنَّا، وتريد أن تعرف الحـقيقة. والحـقيقـة هي في الدين الذي ارتضاه الله لعباده الإسلام. قلت له: نعم، أنا أبحث عن الحقيقة ولقد أرشدني الرجل المنير الذي رأيته في منامي لأن أتبع جمـاعة تلبس ما تلبس. . فهل يمكنك أن تقول لي من ذلك الذي رأيت في منامي؟ فقال الرجل: ذاك نبينا محمد نبي الإسـلام الدين الحق، رسول الله ﷺ!! ولم أصـدق ما حـدث لي، ولكنني انطلقت نحو الرجل أعـانقه، وأقول له: أحقـًا كان ذلك رسولكم ونبيكم، أتاني ليدلني علـى دين الحق؟ قال الرجل: أجل. ثم أخذ الرجل يرحب بي، ويهنئني بأن هداني الله لمعرفـة الحقيقـة. . ثم جاء وقت صلاة الظهـر. . فأجلسـني الرجل في آخر المسـجـد، وذهب ليصـلي مع بقيـة الناس، وشاهدت المسلمين ـ وكثير منهم كان يلبس مثل الرجل ـ شاهدتهم وهم يركعون ويسجدون لله، فقلت في نفسي: «والله إنه الدين الحق، فقد قرأت في الكتب أن الأنبـياء والرسل كـان يضعون جـباههم على الأرض سجدًا لله».

وبعد الصـلاة ارتاحـت نفسي، واطمأنت لما رأيت وسـمعت، وقلت في نفسي: «والله لقد دلني الله سبحانه وتعالى على دين الحق، وناداني الرجل المسلم لأعلن إسـلامي، ونطقت بالشهـادتين، وأخذت أبكي بكاءً عظيـمًا فـرحًا بما منَّ الله عـليَّ من هداية، ثم بقـيت معـهم أتعلم الإسـلام، ثم

خرجت معهم في رحلة دعوية استمرت طويلاً، فقد كانوا يجوبون البلاد طولاً وعرضًا، يدعون الناس للإسلام، وفرحت بصحبتي لهم، وتعلمت منهم الصلاة والصيام وقيام الليل، والدعاء والصدق والأمانة، وتعلمت منهم: كيف أكون مسلمًا داعية إلى الله، وتعلمت منهم: الحكمة في الدعوة إلى الله، وتعلمت منهم: الصبر والحلم والتضحية والبساطة، وبعد عدة شهور عدت لمدينتي، فإذا بأهلي وأصدقائي يبحثون عني، وعندما شاهدوني أعود إليهم باللباس الإسلامي، أنكروا عليَّ ذلك، وطلب مني المجلس الكنسي أن أعقد معهم لقاء عاجلاً. وفي ذلك اللقاء أخذوا يؤنبونني لتركي دين آبائي وعشيرتي، وقالوا لي: لقد خدعك الهنود بدينهم وأضلوك!! فقلت لهم: لم يخدعني ولم يضلني أحد.. فقد جاءني رسول الله محمد ﷺ في منامي ليدلني على الحقيقة، وعلى الدين الحق، إنَّه الإسلام.. وليس دين الهنود كما تدعونه.. وإنني أدعوكم للحق وللإسلام. فبهتوا !! ثم جاءوني من باب آخر، مستخدمين أساليب الإغراء بالمال والسلطة والمنصب، فقالوا لي: إن الفاتيكان طلب لتقيم عندهم ستة أشهر، في انتداب مدفوع القيمة مقدمًا، مع شراء منزل جديد وسيارة جديدة لك، ومبلغ من المال لتحسين معيشتك، وترقيتك لمنصب أعلى في الكنيسة!

فرفضت كل ذلك، وقلت لهم: أبعدَ أنْ هداني الله تريدون أن تضلوني.. والله لن أفعل ذلك، ولو قطعت إربًا!! ثم قمت بنصحهم ودعوتهم مرة ثانية للإسلام، فأسلم اثنان من القسس، والحمد لله.. فلما رأوا إصراري، سحبوا كل راتبي ومناصبي، ففرحت بذلك، بل كنت أريد

أن أبتدرهم بذلك، ثم قمت وأرجعت لهم ما لدي من أموال وعهدة، وتركتهم... إنتهى.

قصة إسلام إبراهيم سيلي، والذي قصها عليَّ بمكتبي بحضور عبد الخالق ميتر سكرتير مكتب الرابطة بجنوب أفريقيا، وكذلك بحضور شخصين آخرين.. وأصبح القس سيلي الداعية إبراهيم سيلي.. المنحدر من قبائل الكوزا بجنوب أفريقيا.. ودعوت القس إبراهيم .. آسف!! الداعية: إبراهيم سيلي لتناول طعام الغداء بمنزلي وقمت بما ألزمني به ديني فأكرمته غاية الإكرام، ثم ودعني إبراهيم سيلي، فقد غادرت بعد تلك المقابلة إلى مكة المكرمة، في رحلة عمل، حيث كنا على وشك الإعداد لدورة العلوم الشرعية الأولى بمدينة كيب تاون، ثم عدت لجنوب أفريقيا لأتجه إلى مدينة كيب تاون. وبينما كنت في المكتب المعد لنا في معهد الأرقم، إذا بالداعية إبراهيم سيلي يدخل عليَّ، فعرفته، وسلمت عليه.. وسألته: ماذا تفعل هنا يا إبراهيم؟ قال لي: إنني أجوب مناطق جنوب إفريقيا، أدعو إلى الله، وأنقذ أبناء جلدتي من النار، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإدخالهم في الإسلام، وبعد أن قص علينا إبراهيم كيف أصبح همَّه الدعوة إلى الله تركنا مغادرًا نحو آفاق رحبة.. إلى ميادين الدعوة والتضحية في سبيل الله..

ولقد شاهدته وقد تغير وجهه، واخلولقت ملابسه، تعجبت منه فهو حتى لم يطلب مساعدة! ولم يمد يده يريد دعمًا!! وأحسست بأن دمعة سقطت على خدي.. لتوقظ فيَّ إحساسًا غريبًا.. هذا الإحساس وذلك

الشعور كأنهما يخاطباني قائلين: أنتم أناس تلعبون بالدعوة.. ألا تشاهدون هؤلاء المجاهدين في سبيل الله؟!

نعم إخواني لقد تقاعسنا، وتثاقلنا إلى الأرض، وغرتنا الحياة الدنيا.. وأمثال الداعية: إبراهيم سيلي.. والداعية الأسباني: أحمد سعيد يضحون ويجاهدون ويكافحون من أجل تبليغ هذا الدين!! فيا رب رحماك!!

[من مقال للدكتور/ عبد العزيز أحمد سرحان، عميد كلية المعلمين بمكة المكرمة.. مع بعض التصرف.. جريدة عكاظ، السنة الحادية والأربعين، العدد ١٢٢٠٠، الجمعة ١٥ شوال ١٤٢٠هـ، الموافق ٢١/ ٢٠٠٠م].

* * *

قصة امرأة شفاها الله بالرقية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

يقول أخو البنت المريضة: قبل أربع سنوات تقريبًا، في سنة ١٩٨٨م كانت أختي تعاني من اكتئاب شديد ذهبت على أثره للمستشفى ولكن لم يفدها بشئ، وقررنا حينها بأن تذهب إلى أحد المعالجين بالقرآن الكريم ويدعى (الحداد) وكنت معها في ذلك الوقت، وبالرغم من أنني أعاني من ضيق شديد في الصدر، مع ألم متواصل، لم أشك حالتي إلى أي معالج قط، كذلك انتفاخ ملحوظ في البطن، فقد اكتفيت بمراجعة الأطباء الذين أكدوا بأن ليس لدي أي مرض، وكل هذه الآلام عادية، وبإصرار من أختي بأن أقول ما أشكوا منه لهذا المعالج بالقرآن الكريم، وفعلاً قرأ عليّ ثم أعطاني ماءً وزيتًا مقروءًا عليه، وقال لي بأن: أدهن بطني يوميًا من بعد صلاة العصر حتى المغرب بهذا الزيت مع قليل من الملح لمدة ٢١ يوم، وأقرأ أثناء ذلك آية الكرسي، والمعوذات ٧ مرات، وفعلت ما طلب مني، وفي اليوم الحادي والعشرين. وهو ثاني أيام رمضان على ما أظن إذ كان مقرر لي الذهاب إلى العمرة مع أخوتي ولم تكن هناك أي فرصة حتى أتمم ٢١ يوماً من هذا العلاج، وعند خروجنا من المطار، والذهاب في سيارة الأجرة، وأثناء الطريق، الكل في السيارة يستمع إلى قراءة صلاة التراويح، ومع أنني لم أكن منتبه إلى القراءة جيداً فجأة شخصت عيناي،

وكأن روحي تريد أن تخرج، ولم أعد أرى ما الذي أمامي، ونطقت الشهادتين على عجلة، وأنا أثناء ذلك أسمع أخوتي ينادونني، ولكن لا أستطيع أن أرد عيلهم، حتى أنهم قاموا برش الماء علي، ولم أستجب لهم، حينها طلب أخي من سائق التاكسي بأن يتوقف، فأخرجوني من السيارة إلى منطقة البر، وأنا ما زلت أردد الشهادة، وبعدها صحوت قليلاً، وذكرت (باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)، أكثر من مرة، حتى أحسست بالغشاوة التي كانت على عيناي قد انجلت بالمرة، وهذا الشيء لم يحدث لي في حياتي قط، بعدها أكملنا طريقنا إلى أقرب مسجد حتى نصلي المغرب والعشاء، ثم ذهبنا إلى الحرم واعتمرنا، ولم يحدث لي بعدها أي شيء، وعدت إلى الكويت، وأخبرت هذا المعالج ما حدث لي هناك، وقال لي بأنه شر، وقد زال بإذن الله ولا داعي للخوف.

وبعد فترة أي: من شهر إبريل سمعنا: أن هناك أحد الرقاة الذين يعالجون بالقرآن الكريم، قادم من المملكة العربية السعودية، ويدعى (منير عرب) ومكانه في الفنطاس، وأرادت أختي الذهاب إليه، وقامت بأخذي مرافقة لها، وفي أول يوم قرأ فيه تأثرت بعض الشيء، وقمت بالصراخ لا شعوريًا، مع أن أختي هي المتعبة لم تتأثر، فأمرني المعالج بأن أحضر في اليوم التالي، وفي هذا اليوم زادت حالتي سوءًا، حتى أن إخوتي أخرجوني من مقر الرقية التابعة لهذا المعالج وأنا غير واعية لنفسي، ولما يجري من حولي، وكنت أتفوه بكلام غير مفهوم، وكأنني في عالم آخر.

ولقد وصف لي هذا المعالج خلطة العسل بالأعشاب التي تسمى بالخلطة

الخاصة التي تناولتها بالرغم عني، وكنت في هذه الفترة أحس بإعياء شديد، وآلام، وهذيان متواصل في أول الأمر ثم أصبح يختفي بعض الشيء تدريجيًا لدرجة أنه في البداية أدى هذا المرض إلى تغيبي عن عملي لمدة ٣ أسابيع متواصلة، ومع الوقت تكيفت مع مرضي هذا، ووجدت لنفسي تفسيراً للأشياء التي كنت أحس بها في السابق، من أحلام مزعجة، وكوابيس تراودني يوميًا لسنوات طويلة، والأرق الذي كنت أعاني منه، وعدم النوم، وصداع جانبي من جهة اليسار، وسقوط الشعر بدرجة كبيرة لم ينفع الطب في علاجه، أو خلطات الزيوت والأعشاب التي كنت أضعها على شعري.

أيضًا الغمامة السوداء التي كانت تصيب عيني من فترة لأخرى، ولا أعرف تشخيصًا لها، مع دوار واكتئاب مستمر، وبكاء وضحك من غير سبب، والانفعال الشديد، والعصبية لأتفه الأسباب، وآلام الظهر المزمنة، وآلام الدورة الشهرية التي تؤدي بي إلى المستشفى؛ لأخذ إبر مسكنة أو مغذية حتى أسيطر على هذا الألم، وظللت على هذا الحال سنوات، أعطاني خلالها المعالج (منير عرب) خلطة خاصة أكثر من مرة، أحيانًا تسوء حالتي أثناء الرقية، وأحيانًا أخرى تتحسن، وبقيت على هذا المنوال ولم أذهب خلالها إلى أي معالج آخر..

وذهبت إلى الحج وبعدها إلى العمرة، تعبت خلالها بعض الشيء، ثم عدت مرة أخرى إلى الرقية، وبقيت حالتي تتذبذب حتى أنني بدأت أكره نفسي وأفكاري أصبحت مشوشة، وينتابني شعور بالإحباط، وعدم الرغبة في الذهاب إلى العمل، أو الخروج من المنزل أو زيارة أقاربي، ثم ذهبت

بعد عدة أشهر أو سنة بالأحرى إلى العمرة مرة أخرى، وهذه المرة عندما اعتمرت كنت متعبة بعض الشيء، وبعدها رجعت إلى الكويت إلى نفس دار الرقية، واستمريت مع هذا المعالج أعطاني هذه الفترة (العجوة) التي كانت لها تأثير عجيب سبحان الله، وتناولتها باستمرار ثم ذهبت بعد أشهر مرة أخرى إلى العمرة وتعبت هناك قليلاً، وقمت خلال هذه الفترة بالذهاب إلى مكان الرقية الشرعية التابعة للمعالج (منير عرب) في المملكة في مدينة جدة، وتعبت هناك ثم عدت إلى المدينة النبوية، ولم يحدث لي أي شيء بعدها، ورجعت مرة أخرى إلى الحرم المكي حتى نصلي هناك، وبعد صلاة العشاء قمت بالطواف حول الكعبة رغبة مني، وقبلت الحجر الأسود، وبعدها أغمي عليّ عند الكعبة بجانب باب الملتزم، ثم سحبني أخوتي وبمساعدة رجال الشرطة إلى إحدى زوايا الحرم وقام أخي برقيتي، وكنت أهذي ولم أتجاوب معه إلا بعد مضي وقت من الليل؛ ولخوف إخوتي عليّ وبمشورة بعض رجال الشرطة الذين أشاروا على أخي باصطحابي لأحد الرقاة بالقرآن الكريم في منطقة مكة المكرمة، وفي هذا الليل المتأخر ذهبنا إليه في بيته فقرأ عليّ بعض الآيات، وتعبت قليلاً وعندما صحوت، قال لنا بأن الذي أشكوا منه هو سحر، بالتأكيد لأنه خاطب الجني المتلبس فيّ، وعرف منه أنه سحر بالتأكيد، فقلت له حينها: كيف عرفت بذلك؟ فهذا كله رجم بالغيب، وكيف تعرف بأنني صادقة؟ ربما أكذب، أو أن الجن يكذبون، حتى أنه وصف لي خلطة، وأمرني بأن أردد بعض الأدعية والآيات ١٠٠ مرة، ولا إله إلا الله محمد رسول الله ١٠٠ مرة، ولكننا لم نرتح له فخرجنا من بيته وقلنا له سنفكر بالعلاج

الذي سنأخذه منك غدًا؛ لأننا نريد الخروج من بيته في هذه الساعة المتأخرة من الليل، دون الرجوع إليه بعدما سمعناه من كلام مشكوك فيه، ولا يصدقه إنسان عاقل ومتعلم.

وفي اليوم التالي رجعنا إلى مكان الرقية الشرعية، للمعالج بالقرآن الكريم (منير عرب) في جدة، وبدأ القراءة الجماعية، وهذه المرة تعبت تعبًا شديدًا، أحسست خلالها بأن روحي سوف تزهق، ولكن الله لطف بي سبحانه، ثم عدت إلى الكويت، واستكملت فترة العلاج عند نفس هذا المعالج لمدة شهرين تعبت أثناء الشهر الأول قليلاً، ثم بدأت حالتي تتحسن كثيرًا ولله الحمد، حتى منَّ الله عليَّ بفضله وجوده بالشفاء التام بعد ثلاث سنوات ونصف متواصلة من الرقية.

ولقد كان لهذا المعالج بعد الله سبحانه وتعالى الفضل في علاجي، وكان سببًا من أسباب الشفاء بإذنه تعالى، وجزاه الله عنِّي وعن المسلمين خير الجزاء، وجعل ذلك في موازين حسناته يوم القيامة، ويدخله الله بإذنه تعالى من أبواب الجنة الثمانية أيها يشاء، إنه سميع قريب.

* * *

ما رأيك بهذه القصة؟!
قدرة الباري

طفلة عمرها ثلاثة أشهر من ينظر إليها يتعجب كل العجب، فكل شيء فيها متصلب جامد لا حراك فيه ما عدا الرقبة والرأس، فالذراعان ممتدان، والركبتان لا تنثنيان، ومن يحمل الطفلة من أي جزء في جسدها ترتفع معه مثل قطعة الخشب. وبينما تحملها والدتها بحنان وإشفاق، قال والدها: إن أمها سقطت أثناء حملها في بيت الخلاء وإن الطفلة ولدت هكذا، وإنهما حارا بها عند الأطباء الذين اختلفوا في تشخيص حالة الطفلة دون الوصول إلى نتيجة. وقد أدركت أن الأم أصابها جني عندما سقطت في الحمام، وذلك لأن أكثرهم يفضل التواجد في الأماكن الخبيثة، ولذلك علمنا رسول الله ﷺ أن نقول عند دخول بيت الخلاء: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»، تجنبًا لأذى الجان والشياطين، ونظرت إلى الطفلة ولسان حالي يقول: ماذا عساني أن أفعل لك أيتها الصغيرة؟ ولم أشعر بنفسي إلا والدموع تنهمر من عيني حزنًا على هذه الطفلة، وشفتاي تتمتمان: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، غير أني استعنت بالله فهو سبحانه قادر على كل شيء. وبدأت أقرأ على الطفلة آيات الرقية المأثورة، ولاحظت أن إيماءات الطفلة تنذر بأن بداخلها شيء، وبعد انتهاء الرقية أعطيت لأمها ماء مقروءًا عليه وزيتًا، وطلبت منها أن تحضر الطفلة

لعدة جلسات يوميًا، وانتظمت المرأة وطفلتها عندي في القراءة حتى حدث شيء لم يكن في البال.

فذات يوم وأثناء القراءة تحركت أطراف الطفلة والقدمان والذرعان حركة طبيعية جدًا، وكأن شيئًا لم يكن.. وكدت أطير من الفرح؛ لأنني متعاطف مع هذه الصغيرة، ولعل الله تعالى هو المطلع على القلوب والسرائر قد استجاب لما في أعماقي التي كانت ترغب وترجو منه شفاء هذه الصغيرة، وأن أن فرحة الأم في هذه اللحظات لا يستوعبها وصف، وأخبرت الأم قبيل انصرافها بضرورة الاستمرار في حضور القراءة، وفعلاً انتظمت معي إلى أن أصبح عمر الطفلة تسعة أشهر، وأثناء القراءة في أحد المرات نظرت إلى الطفلة الراقدة في حجر أمها، وأنا أقوم بقراءة الرقية الشرعية على واحدة من الأخوات الملتبسات مخاطبًا الجني الذي يتلبسها قائلاً: أخبرني يا خبيث. فإذا بالطفلة تهز رأسها يمينًا ويسارًا وكأنها تقول كلمة النفي: «لا.. لا» فأيقنت أن ما كنت أتوقعه كان صحيحًا، والذي من أجله طلبت من أم الطفلة أن تواصل الحضور عندي في القراءة.

فقد كانت الطفلة المسكينة متلبس بالجني، ومن فوري تركت المرأة التي كنت أعالجها واتجهت إلى الطفلة قائلاً: أتريد أن تخرج؟ فهزت الطفلة رأسها بالنفي، فقمت بضربها على يدها ضربة خفيفة، فسمعت وسمع الحاضرات صوت بكاء غريب، لم يكن عقب الضربة مباشرة، ولكن بعدها بلحظات، فقمت بزجرها أي ذلك الجني الموجود فيها آمرًا إياه بالخروج، ولكن الطفلة كانت تفتح عينها بعد كل أمر وتهز رأسها بالنفي، وكأنها تريد أن تتكلم، لولا سن الطفلة الصغير، والحق أن عدة شهور مضت على هذه الحالة، وما زالت

الطفلة تواظب على القراءة عندي، ولكني سعيـد كل السعادة لما حدث والذي أراني تعالى إياه بتحـرك أعضاء الطفلة على أثر كلام الله، بعدمـا عجز الطب عن علاجها، ولكنها قدرة جبار السماوات والأرض، وعبرة لمن أراد أن يعتبر.

* * *

قصة شاب عجيبة فهل من معتبر؟

وهذه قصة عجيبة، وفيها عبرة لكل شاب، وهي لشاب معروف لدى بعض الشباب، وقد أخبرهم بقصته فقال: كنت مقصرًا بالصلاة، أو بالأحرى لا أعرف المسجد، وقبل رمضان عام (١٤٢٠هـ) نمت في بيتي، ورأيت في منامي عجبًا، رأيت أني في فراشي نائمًا، فأتت إليّ زوجتي تريد إيقاظي، فرددت عليها ماذا تريدين؟ ولكن المفاجأة أنها لا تسمع كلامي ثم إنها كررت إيقاظي مرارًا، وكنت أرد عليها ماذا تريدين؟ ولكنها لا تسمع كلامي. ثم ذهبت خائفة ونادت إخوتي. فأتوا ومعهم الطبيب فكشف عليّ الطبيب، فقلت له: ماذا تريد؟ ولكن المفاجأة كذلك أن الطبيب لا يسمعني، وأخبر إخواني أني قد توفيت، ففزعوا وبكوا على وفاتي. مع أني لم أمت ولكن لا أدري لماذا لم يسمعوا كلامي؟ فقد كانت حالتي عصيبة جدًا حيث أرى زوجتي وإخواني وأكلمهم وأنظر إليهم، ولكن لا يكلمونني، ثم إني سمعتهم يقولون عن جنازتي عجلوا بها، إن كانت خيرًا تقدم، وإن كانت شرًا توضع عن الأعناق. ثم ذهبوا بي إلى المقبرة، وكنت أكلم كل من يواجهني في الطريق أني حي ولم أمت. ولكن لا يرد عليّ أحد. ثم لما وصلوا بي إلى المقبرة نزعوا ثيابي وغسلوني وكفنوني ثم ذهبوا بي إلى المسجد.

ثم إني كلمت الإمام، وقلت لـه إني حي ولم أمت ولكن الإمام لا يرد عليَّ، حتى إني أسـمعـهم وأنظر إليهم وهم يصلون عليَّ. وبعـد الصلاة ذهبـوا بي إلى المقـبـرة، وكنت أنظر إلى الناس وهم يـريدون دفني. ثم وضعـوني في اللحـد. وكلمت آخر واحـد رأيته، كـان بيني وبين اللبن، فقلت لـه إنني لم أمت فلا تدفونـني، ولكن لم يرد عليَّ، ثم أهالوا عليَّ التراب، وبدأت أتذكر حديث الرسول ﷺ: «**إن الميت يسمع قرع النعال**»، فسمـعت قرع نعالهم لما ذهبوا عن قبـري، وبعد ذلك تأكدت الآن أني في مكان مظلم، وأني في مـوقف عظيم، وبعد ذلك أتى إليَّ رجـلان هائلان مفزعان، وقف واحد عند رجلي والآخر عند رأسي، وسألني: من ربك؟ فـبـدأت أردد ربي ربي، وأنا أعـرف من هو ربي، ولكن لا أدري كـيف نسيت. وكـذلك سألني: من نبيك؟ ومـا دينك؟ فبدأت أردد نبـي نبيي. ديني ديني. ولم يخطر على بالي إلا زوجـتي ودكاني وعيالي وسـيارتي. حتى أتى بمرزبة كبيرة، وضربني ضربة قوية، صرخت منها صرخة أيقظت من كـان نائمًا في المنزل، وبدأت زوجـتي تسمي عليَّ، وتقـول لي: لماذا تصرخ وتصيح، وبعد ذلك عرفت أنها رؤيا، ثم أذن الفـجر مباشرة، وقد كتـبت لي حـياة جـديدة، وكانت هذه الرؤيا سـببًـا لهدايتي والتـزامي، وتكسيري للدشوش، وغيرها من المحـرمات، حتى أقبلت بحمد الله على الصلاة، وطاعـة ربي، وأعيش الآن مع زوجـتي وأولادي وإخواني حـياة السعادة والراحة، فأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يميتني على طاعته.

* * *

قصة عجيبة اقرأها بتمعن

كنت في مزرعتي خارج المدينة في كوخي الصغير، بعيدًا عن أعين الملاقيف خاصة أم خالد، لقد مللت منها، ومن نصائحها المزعجة، فأنا ما زلت شابًا كنت منهمكًا على جهاز الكمبيوتر لا ألوي على شيء.. ولم أكن أشعر بالوقت فهو أرخص شيء عندي.. وبينما أنا في حالي ذلك وكانت الساعة الثانية ليلاً تقريبًا، وكان الجو حولي في هدوء عجيب، لا تسمع إلا قرع أصابعي على مفاتيح الحروف.. أرسل رسائل الحب في كل مكان.. حينها وبلا مقدمات.. طرق الباب طرقًا لا يذكرك إلا بصوت الرعود..

هكذا والله.. تجمدت الدماء في عروقي.. سقطت من فوق المقعد، انسكب الشاي على الجهاز.. أقفلته، وكدت أن أسقط الجهاز من الإرباك.. صرت أحملق في الباب.. وكان يهتز من الضرب.. من يطرق بابي.. وفي هذا الوقت.. وبهذا العنف.. انقطع تفكيري بضرب آخر أعنف من الذي قبله..

كأنه يقول: افتح الباب وإلا سوف أحطمه.. زاد رعبي أن الطارق لا يتكلم فلو تكلم لخفف ذلك علي.. ألم أقفل باب المزرعة؟! بلى.. فأنا أقفلته جيدًا وفي الأسبوع الماضي ركبت قفلاً جديدًا.. من هذا؟! وكيف دخل؟! ومن أين دخل؟! ولم يوقفني عن التفكير سوى صوت الباب وهو

يضرب بعنف.. قربت من الباب وجسمي يرتجف من الرعب، وقدماي تعجزان عن حملي فمن ذا يا ترى ينتظرني خلف الباب؟ هل أفتح الباب؟! كيف أفتحه وأنا لا أدري من الطارق؟ ربما يكون سارقًا؟! ولكن هل السارق يطرق الأبواب؟! ربما يكون من؟ أعوذ بالله.. سوف أفتحه وليكن من يكون..!!

مددت يدي المرتجفتين إلى الزرفال.. رفعت المقبض ودفعته إلى اليمين، أمسكت المقبض ففتحت الباب.. كان وجهه غريبًا لم أره من قبل يظهر عليه أنه من خارج المدينة.. لا لا إنه من البدو نعم إنه أعرابي! أخذت نفسي.. وبجلافة الأعراب قال لي: وراك ما فتحت الباب؟! عجيب هكذا.. بلا مقدمات.. لقد أرعبتني.. لقد كدت أموت من الرعب.. أحدث نفسي بلعت ريقي وقلت له: من أنت؟ ما يهمك من أنا؟! أريد أن أدخل.. ولم ينتظر إجابتي.. جلس على المقعد.. وأخذ ينظر في الغرفة.. كأنه يعرفني من قبل، ويعرف هذا المكان.. كاس ماء لو سمحت.. اطمأننت قليلاً لأدبه.. ذهبت إلى المطبخ.. شرب الماء.. كان ينظر إلي نظرات مخيفة.. قال لي: يا بدر قم وجهز نفسك!!

كيف عرف اسمي؟! ثم أجهز نفسي لأي شيء؟! ومن أنت حتى تأمرني بأن أجهز نفسي؟! اسأل نفسي.. قلت له: ما فهمت ماذا تريد؟! صرخ في وجهي صرخة اهتز لها الوادي، والله لم أسمع كتلك الصرخة في حياتي، قال لي: يا بدر قم والبس فسوف تذهب معي.. تشجعت فقلت إلى أين؟! قال: إلى أين!! باستهتار.. قم وسوف ترى.. كان وجهه كئيبًا.. إن حواجبه الكبيرة، وحدة نظره تخيف الشجعان، فكيف

بي وأنا من أجبن الناس!!

لبست ملابسي كان الإرباك ظاهرًا عليَّ.. صرت ألبس الثوب وكأني طفل صغير يحتاج لأمه لكي تلبسه.. يالله من هذا الرجل؟ وماذا يريد؟! كدت أفقد صوابي وكيف عرفني؟ آه ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا.. وقفت بين يديه مطأطئ الرأس كأنني مجرم بين يدي قاض يوشك إن يحكم عليه... قام كأنه أسد وقال لي: اتبعني.. خرج من الباب، لحقته وصرت أنظر حولي كأني تائه يبحث عن شيء، نظرت إلى باب المزرعة لعله كسره؟ لكن رأيت كل شيء طبيعيًا؟! كيف دخل؟ رفعت رأسي إلى السماء .. كانت النجوم تملأ السماء.. يالله هل أنا في حلم.. يا رب سامحني.. لم ينظر إليَّ.. كان واثقًا أني لن أتردد في متابعته لأني أجبن من ذلك.. كان يمشي مشي الواثق الخبير ويعرف ما حولنا وأنا لم أره في حياتي إنه أمر محير.. كنت أنظر حولي لعلي أجد أحدًا من الناس أستغيث به من هذه الورطة ولكن هيهات.. بدأ في صعود الجبل.. وكنت ألهث من التعب وأتمنى لو يريحني قليلاً ولكن من يجرأ على سؤال هذا؟! وبينما نحن نصعد الجبل، بدأت أشعر بدفئ، بل بحرارة تكاد تحرق جسمي.. وكلما نقترب من قمة الجبل كانت الحرارة تزيد.. علونا القمة وكدت أذوب من شدة الحر.. ناداني: بدر! تعال واقترب!! صرت أمشي وأرتجف، وأنظر إليه، فلما حاذيته رأيت شيئًا لم أره في حياتي.. رأيت ظلامًا عظيمًا مد البصر.. بل إني لا أرى منتهاه .. كان يخرج من هذا الظلام لهب يرتفع في السماء ثم ينخفض.. رأيت نارًا تخرج منه.. أقسم أنها تحطم أي شيء يقف أمامها من الخلق.. آه من يصبر عليها ومن

أشعلها؟! نظرت عن يمين هذه الظلمة فرأيت بشرًا أعجز عن حصرهم كانوا عراة لا شيء يسترهم رجالاً ونساء .. أي والله حتى النساء.. وكانوا يموجون كموج البحار من كثرتهم وحيرتهم.. وكانوا يصرخون صراخًا يصم الآذان.. وبينما أنا مذهول بما أراه سمعت ذلك الرجل يناديني: بدر! نظرت إليه وكدت أبكي قال لي: هيا انزل! إلى أين؟! انزل إلى هؤلاء الناس.. ولماذا؟! ماذا فعلت حتى أكون معهم؟! قلت لك: انزل ولا تناقشني.. توسلت إليه ولكنه جرني حتى أنزلني من الجبل.. ثم ألقى بي بينهم..

والله ما نظروا إليَّ.. ولا اهتموا بي.. فكل واحد منهم مشغول بنفسه.. أخذت أصرخ وأنادي... وكلما أمسكت واحدًا منهم هرب مني.. أردت أن أعرف أين أنا؟! ومن هؤلاء البشر؟ فكَّرت أن أرجع إلى الجبل فلما خرجت من تلك الزحام رأيت رجالاً أشداء.. ضخام الأجسام تعلو وجوههم الكآبة.. ويحملون في أيديهم مطارق.. لو ضربوا بها الجبال لذابت .. يمنعون الناس من الخروج... احترت وصرت أنظر حولي وصرت أصرخ وأصرخ.. وأقول يالله أين أنا؟! ولماذا أنا هنا؟! وماذا فعلت؟!

أحسست بشيء خلفي يناديني.. التفت فإذا هي أمي فصحت أمي أمي.. والله ما التفتت إليَّ.. صرت أمشي في الزحام أدفع هذا وأركل هذا أريد أن أصل إلى أمي.. فلما دنوت منها التفتت إلي ونظرت إليَّ بنظرة لم أعهدها.. كانت أمًا حانية.. كانت تقول لي: يا بدر والله لو صار عمرك خمسين سنة فإني أراك ابني الصغير.. كانت تداعبني وتلاطفني كأني ابن

ثلاث سنين.. آه ما الذي غيرها؟! أمسكت بها وقلت لها: أمي، أنا بدر أما عرفتيني؟ قالت: يا بدر، هل تستطيع أن تنفعني بشيء؟ قلت لها: يا أمي هذا سؤال غريب؟! أنا ابنك بدر اطلبي ما شئت يا حبيبتي.. قالت لي: يا بدر أريد منك أن تعطيني من حسناتك فأنا في حاجة إليها.. حسنات! وأي حسنات يا أمي؟! قالت: يا بدر أنت مجنون؟ أنت الآن في عرصات القيامة، أنقذ نفسك إن استطعت.. آه هل ما تقولينه حقًا! هي يا ويلي! آه ماذا سأفعل؟ وهربت وتركتني وما ضمتني ولا رحمتني..

عند ذلك شعرت بما يشعر الناس إنها ساعة الحساب.. إنها الساعة.. صرت أبكي وأصرخ وأندب نفسي.. آه كم ضيعت من عمري.. الآن يا بدر تعرف جزاء عملك.. الآن يا بدر تنال ما جنته يداك.. تذكرت ذنوبي وما كنت أفعله في الدنيا.. صرت أحاول أن أتذكر هل لدي حسنات لعلي أتسلى بها، ولكن هيهات.. آه تذكرت ما كنت أفعله قبل قليل من رؤية المواقع السافلة في الانترنت.. آي ليتني لم أفعل ولكن الآن لن ينفعني الندم.. أي والله.. وبينما أنا في تفكيري سمعت صارخًا يصرخ في الناس.. أيها الناس هذا رسول الله محمد اذهبوا إليه.. فماج الناس بي كما يموج الغريق في البحر وصاروا يمشون خلف الصوت. لم أستطع أن أرى شيئًا.. كان الناس كأنهم قطيع هائل من الأغنام يسيرون مرة يمينًا، ومرة شمالاً ومرة للأمام يبحثون عن الرسول.. وبينما نحن نسير رأيت أولئك الرجال الأشداء وهم يدفعون الناس دفعًا شديدًا، والناس يحاولون الهرب، ولكن هيهات كل من حاول الهرب ضربوه على وجهه بتلك المطارق، فلو شاء الله لذاب منها، وصار الناس يتساقطون في تلك الظلمة

العظيمة أرتالاً أرتالاً، ورأيت بعضهم يُجر بـرجليه فيلقى فيها، ومنهم من يسيـر من فوقهـا؟ أي والله؟ يسيرون من فـوقها عـلى جسر وضع عليـها وكانوا يسيرون بسرعة عجـيبة. . ولا أدري إلى أين يسيرون غير أني كنت أرى أنه في آخر تـلك الظلمة من بعـيد جدًا. . كنت أرى نورًا يـصل إليه أولئك الذين يمشون على الجسر.

وفجأة رأيـت الناس يقولون هذا رسول الله فنظرت فرأيت رجـلاً لابسًا عمامـة بيضاء، وعليـه عباءة بيضـاء، ووجهه كأنه القـمر، وهو ينظر في الناس، ويقول: اللهم سلِّـم سلِّم، فتدافع الناس عليـه فلم أستطع أن أراه بعد ذلك، وكنت أقـترب من تلك الظلمة شـيئًا فـشيئًا والناس يصـرخون كلهم لا يريد الدخول فـيها، فـعلمت أنها النار! نعم. . إنهـا جهنم التي أخبرنا عنها ربنا في كتابه. . إنها التي حذرنا منها رسول الله ﷺ. . ولكن مـاذا ينفـعني علـمي بذلك الآن؟! فـهـا أنذا أُجـر إليـهـا. . صـرخت وصرخت. . النار النار. . النار النار!!

بدر بدر بدر . . مـاذا بك؟! قـفـزت من فـوق السـرير وصـرت أنظر حولي. . بدر ماذا بك يا حبيبي؟! كـانت أم خالد. . إنها زوجتي أخذتني وضمتني إلى صدره!! وقـالت: ما بك. . باسم الله عليك؟! كنت أتصبب عرقًـا مما رأيته. . رفـعت الفراش. . وقمت من فـوق السرير . . فـتحت الباب وصرت أمشي في الغرف رحت إلى غـرفة خالد وإخوانه. . أضأت النور. . فـإذا هم نائمـون . . دخلت إليهم . . قـبَّلتـهم واحدًا واحـدًا، وكانت أم خالد على الباب تنظر تتـعجب؟! ما الذي حدث يا أبا خالد؟! أشـرت إليهـا بالسكوت حـتى لا توقظ الأولاد. . أطفـأت النور وأغلقت

الباب بهدوء.. جلست في الصالة.. أحضرت لي كوب ماء.. شربت الماء.. ذكرتني برودته بشدة الحر الذي رأيته في ذلك المنام.. ذكرت الله واستغفرته..

يا أم خالد!! نعم يا حبيبي.. أريدك من اليوم ورايح تعاونيني على نفسي.. أنا من اليوم إن شاء الله سأكون من أهل الخير.. الله يا أبا خالد.. ما هذا الكلام الطيب.. الحمد لله الذي ردَّك للخير.. كيف نغفل يا أم خالد؟! الله يتوب علينا.. والحمد لله الذي بصرني.. وثبتنا الله على الخير!!!

فهل من معتبر قبل فوات الأوان ؟!!

* * *

تحدى الله
فأماته الله ميتة الحمير !!

في إحدى الكليات بدولة عـربية، وقف أحد الطلبة، ممسكًا بساعتـه محدقًا نظره فيها، وهو يصرخ قائلاً: «إن كان الله موجودًا فليمتني إذاً بعد ساعة».

وكان مشهدًا عجيبًا شهده جمهرة من الطلاب والأساتذة، ومرَّت الدقائق عجلى، وحين أتممت السـاعة دقائقها، انتـفض الطالب بزهو وتحد، وهو يقول لزملائه: «أرأيتم لو كان الله موجودًا لأماتني».

وانصرف الطلاب، وفيهم من وسوس له الشيطان، وفيهم من قال: «إن الله أمهله لحكمة، وفـيهم من هزَّ رأسه وسخر منه، أمـا الشاب المذكور، فذهب إلى أهله مسرورًا، خرج يتمطى، وكأنه أثبت بدليل عقلي لم يسبقه إليه أحـد أن الله ـ سبحـانه ـ غير مـوجود، وأن الإنسـان خلق هملاً، لا يعرف له ربًا، وليس له معاد أو حساب.

ودخل منزله فـإذا والدته قد أعـدّت مائدة الغـداء، وإذا والده قد أخـذ مكانه على المائدة ينتظره.

فهرع الولد مسـرعًا إلى المغسلة، ووقف أمامها يغـسل وجهه ويديه، ثم ينشفهما بالمنديل، وبينمـا هو كذلك، إذ به يسقط على الأرض جثة هامدة لا حراك بها، نعم لقـد سقط ميتًا، وأثبت الطبيب في تقـريره، أنه موتته كانت بسبب الماء الذي دخل بأذنه.

والمعروف علمياً أن الحمار والحصان إذا دخل الماء في أذن أحدهما، مات!

أبى الله إلا أن يموتَ هذا الشخص كما يموتُ الحمارَ.

قال الله سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥].

لم يُمت الله سبحانه هذا الطالب وسط زملائه في الكلية بعد أن تحدى الله بأن يميته بعد ساعة، ولكن أماته في بيته وسط أهله، وذلك أن الله جلَّت قدرته ليس بحاجة لإثبات وجوده، ولأنه سبحانه أبعد ما تكون له ردة فعل، وإلا لخسف بالدنيا ومن فيها.. إنه جلت قدرته حليم حكيم.

إن هذه القصة تعطينا مؤشرات هامة وخطيرة بأن الألفاظ والكلام الذي ننطق به محسوب عند الله، والله سبحانه سميع عليم..

وهي عبرة لبعض الكتاب الذين يخوضون في الله ورسله وملائكته بدون علم..

ويتناولون في بعض مقالاتهم مواد أدبية يرون فيها أنها تصوير فني أدبي بينما عند الله كلام عظيم.. وربما في هذه القصة عبرة لهم وتذكرة!

* * *

قصة واقعية حدثت قبل مائة سنة تحكي أهمية الصدقة

قصة واقعية حدثت قبل مائة سنة، يروي رجل يدعى ابن جدعان قصته.. ويقول: خرجت في فصل الربيع وإذا بي أرى إبلي سمانًا يكاد الربيع أن يفجر الحليب من ضرعها، كلما اقترب الحوار من أمه درَّت، وانهلّ الحليب منها لكثرة الخير والبركة، فنظرت إلى ناقة من نياقي.. ابنها خلفها وتذكرت جارًا لي له بنات سبع، فقير الحال.. فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة وبولدها لجاري.. والله سبحانه يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] ، صدق الله العظيم... وأحب حلالي هذه الناقة يقول: فأخذتها وابنها، وضربت الباب على جاري، وقلت: خذها هدية مني لك، يقول: فرأيت الفرح في وجهه، ولا يدري ماذا يقول، فكان يشرب من لبنها، ويتحطب على ظهرها، وينتظر وليدها يكبر ليبيعه، وجاءه منها خير عظيم، فلما انتهى فصل الربيع، وجاء الصيف بجفافه وقحطه، تشققت الأرض، وبدأ البدو يرتحلون يبحثون عن الماء والكلأ فيقول: شددنا الرحال، ورحلنا من مكاننا نبحث عن الماء في الدحول، والدحول هي: حفر في الأرض توصل إلى محابس مائية وهي أقبية مائية، تحت الأرض لها فتحات فوق الأرض يعرفها البدو يقول: فدخلت داخل الدحل لأحضر الماء لنشرب وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون، فتاهَ تحت الأرض، ولم يعرف

الخروج، وانتظر أبناؤه يومًا، ويومين، وثلاثة، حتى يئسوا وقالوا: لعل ثعبانًا لدغه فمات، لعله تاه تحت الأرض وهلك، وكانوا والعياذ بالله ينتظرون هلاكه طمعًا في تقسيم المال والحلال، فذهبوا إلى البيت وقسموا الميراث، فقال أوسطهم: أن والدهم قد أعطى ناقة وولدها لجارهم، فبخس الإخوة عطية والدهم لجاره وذهبوا للجار يطلبون منه الناقة، لاسيما وهي ناقة فيها خير كثير ولبن، فاللبن يغني عن الطعام والشراب، كما يقول الرسول ﷺ، فقالوا: أعد الناقة خير لك، وخذ هذا الجمل مكانها، وإلا فنسحبها الآن عنوة، ولن نعطيك شيئًا، قال: أشتكيكم إلى أبيكم، قال: اشتك فلقد مات. قال: مات! وكيف مات؟ وأين مات؟ لِمَ لم أدرِ؟ قالوا: دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج، قال: ناشدتكم الله اذهبوا بي إلى مكان الدحل، ثم خذوا الناقة وافعلوا ما شئتم، ولا أريد جملكم، فذهبوا به، ولما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفيّ ذهب وأحضر حبلاً، ثم ربطه خارج الدحل، وأشعل شعلة، ثم بدأ يزحف على ظهره حتى وصل إلى أماكن فيها يحبو، وأماكن يزحف، وأماكن يتدحرج، ويشتم رائحة الرطوبة تقترب، وإذا به يسمع أنين الرجل عند الماء فأخذ يزحف تجاه الأنين في الظلام.. ويلتمس الأرض ووقعت يده على الطين ثم وقعت يده على الرجل، فوضع يده على أنفاسه فإذا هو حي يتنفس بعد أسبوع!! سبحان الله!

فقام وجرّه وعصب عينيه حتى لا تنبهر بالضوء والشمس، ثم أخرجه معه خارج الدحل.. ومرس له التمر وأسقاه، وحمله على ظهره.. وجاء به إلى داره، ودبّت الحياة في الرجل من جديد.. وأولاده لا يعرفون. فقال: أخبرني بالله عليك. أسبوع كامل وأنت تحت الأرض ولم تمت! فقال

سأحدثك حديثًا عجبًا: لما نزلت ضعت، وتشعبت بي الطرق، فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه، وأخذت أشرب منه، ولكن الجوع لا يرحم.. فالماء لا يكفي.. يقول: وبعد ثلاثة أيام، وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ.. وبينما أنا مستلق على ظهري، وقد فوضت أمري إلى الله، وإذا بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي.. فيقول: فاعتدلت في جلستي فإذا بإناء في الظلام لا أراه، يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي ثم يذهب.. فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم.. ولكن منذ يومين انقطع ما أدري سبب انقطاعه!! يقول فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت! فقال لي: وما سبب ذلك بالله عليك.. قلت له: ظن أولادك أنك مت، وجاءوا إليَّ بعد ذلك، وسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها!! ومنذ ذلك اليوم انقطع عنك اللبن.. فبكى بكاءً شديدًا..

فسبحان الحي الذي لا يموت.. الرزاق الوهاب.. ذو الجلال والإكرام.. فالمسلم عزيزي القارئ.. في ظل صدقته..

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾

وكما يقول النبي ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».

* * *

علاج ممتاز ومجرب لكل داء

يقول أحد الإخوة: علاج ممتاز يغفل عنه الناس فيه علاج للأمراض العضوية والنفسية والأخلاقية.

جربته.. متاز جدًا..

عندما هممت بالزواج، وكنت لا أملك شيئًا سوى القليل من المال شعرت بضيق في نفسي. كيف لي أن أجهز بيت الزوجية وأنا لا أملك إلا القليل من المال؟ وكنت أسمع والدي يقول لي: «بفطرته» اعزم والله سبحانه سيعينك.

المهم مع تلك الهموم سمعت صوت المؤذن ينادي لصلاة العشاء... ذهبت وتوضأت وصليت العشاء.. وبعد الصلاة شاهدت زوج أختي في المسجد.. سلَّمت عليه، وطلبت منه الدخول.. فرفض، وقال: إنه مستعجل.. المهم مدَّ يده إلى جيبه وأخرج ظرفًا وسلَّمه لي.. شاهدت الظرف ما هذا سكت وانصرف.. فتحت الظرف وإذا به يحتوي على مبلغ ٥٠٠٠ ريال.. كيف حصلت عليه؟! وأجابني بأن هذا المبلغ ليس منه.. إنما هو من الله إعانة لمن أراد الزواج لإعفاف نفسه.

حمدت الله، وذهبت إلى بيت قريب لي كان قد دعاني لوليمة في بيته. دخلت البيت.. وشاهدت إخوة لي في الله قدموا لي ظرفًا فيه مجموعة من مساعداتهم لي في الزواج، وكان المجموع: ٤٠٠٠ ريال.. نزلت

دمعــة من عيني. . . فــأنا غيــر مصــدق أن أحصل على هذا المبــلغ خلال ساعتين!!

ولكن ما هو العلاج؟

هل هو الصلاة؟

هل هو دعاء والدي؟

هل هو دعائي في السجود؟

هل هو نيتي في إحصان نفسي بالزواج؟

أم أنه علاج آخر لم ألتفت إليه. . أجيبوني بالله عليكم!!

* * *

من قصص المصابين بالإيدز

السيدة س(٣٠ عـامًا) مصابة بالإيدز قـالت وهي تبكي: زوجي المتوفى منذ عام ونصف العام، هو السبب في نقل المرض لي أنا وطفلته البالغة من العمر ٤ أعوام. وقد كان دائم السفـر للخارج بالإضافة إلى أنه كان مدمنًا للمخـدرات، وكان يعرف ولم يخـبرني أنه مصـاب. وقد اكتـشفت ذلك بالصدفة عند الولادة. كم أحزنتـني طفلتي لقد جنى علينا والدها، وعندما واجهته قال: إن العدوى جاءته عن طريق الاتصال الجنسي المحرم، ثم أخذ يعتذر ويتأسف، لكن ذلك لا يساوي نـظرة الموت في عيني صغيرتي، وأنا لم أذهب إلى أهلي منذ علمي بالإصابة، ولم أسمح لهم بزيارتنا. صحيح أعرف طرق النـقل وأعرف أنه يجب أن لا يغـير ذلك في حيـاتي شيـئًا، ولكن لا أستطيع أن أجد في عيونهم نظرة الشفقة والعطف، وأيضًا الخوف من كل شيء ألمسه، وأنا الآن على السـرير الأبيض في إحدى مستشـفيات المملكة نتيـجة إصابتي بالالتهـابات والمضاعفات الثـانوية. كل الذي أقوله يسامحك الله يا زوجي. . لقد قتلتني أنا وطفلتك التي انتظرناها كثيرًا.

* * *

لم أقترف أي خطأ. . طالبة جـامعية (٢٢ عامًا) رفضت ذكـر اسمها. . وفي أي جامعة تدرس. . . وهي لم تتـزوج بعد قالت: لم أكن أتصور أن أصاب بهذا المرض خاصة أنني لم أقترف في حياتي كلها ما يغضب الله. .

لقد انتقلت العدوى إليَّ عن طريق نقل الدم في إحـدى المستشفيات داخل المملكة. . وأنا لم أعرف إلا عندما احـتجت إلى نقل دم آخر. . وأنا الآن أزاول حيـاتي بشكل طبيعي بعد علـمي بإصابتي بالمرض. . ولم يزدني إلا إيمانًا بالله، وسأسـتمر في تحصـيلي العلمي حتى أتخرج، وإذا كُـتبت لي الحياة سـأكون سيدة أعمال أجني المال، وأفـتح قسمًا خاصًـا على حسابي الشخـصي لمرضى الإيدز في المملكة، وخـاصة للأطفال، وتـضيف: أمي فقط تعرف مرضي، وأبي متوفى منذ فترة، أمـا أخواتي فلا يعرفن حقيقة مرضي، ولا أستطيع أن أقول لهن، أما شعوري وقت اكتشاف المرض فقد كدت أفـقد عـقلي، ولكني تذكـرت أن ذلك من عند الله، وكم أتمنى أن أجد علاجًا أو أن يكون كل ذلك حلمًا سرعان ما سأفيق منه.

* * *

السيدة ل (٣٦ عـامًا) تقول: لقد سلكت طريق الاتصـال الجنسي المحرم بعد طلاقي من زوجي قبل ٨ أعوام،ولم أرزق منه أطفـالاً، وأسرتي فقيرة ولم يكن لنا عائل. . . فقـد توفي أبي منذ ٢٠ عامًا ثم تبعـته أمي بعد ٣ أعوام. . وكنت أعـيش مع ثلاثة من أخواتي البنات، فـتزوجت من رجل أكـبر مـني بـ٣٠ عامًـا ضـربني وطردني، فطلبت مـنه الطلاق عن طريق المحكمة وحصلت عليه، وقد تزوجـت اثنتان من أخواتي، ولم يبق غيري أنا، وأختي البـالغة ١٩ عامًا، وهي تـدرس الآن في المرحلة الثانوية، ولم أجـد من ينفق علينا، فسلـكت ذلك الطريق حتى أصـبت بمرض الإيدز، وعـرفت ذلك عندما أصـبت بالتـهابات في جـسمي، وهناك في إحـدى مستشفيات المملـكة فاجأني الطبيب بمرضي، ولكن ماذا أفعل الآن؟ وكل

تفكيري ينصب على أختي التي ضحيت من أجلها بالكثير، والآن بحياتي ولا أحد يعرف بموضوع مرضي، وإذا كنت أذهب بصفة غير مستمرة إلى المستشفى، وعرفت طريقي إلى الله، وأنصح كل فتاة أن لا تسير وراء الحرام، مهما كانت الإغراءات، وأن تلتزم بأخلاق الدين الإسلامي.

* * *

علاقات زوجي.. المريضة ن (٢٧ عامًا) تقول: أصبت بالمرض بعد زواجي؛ لأن زوجي كان ناقلاً للمرض، ولم أعرف إلا بعد الزواج منذ حوالي ٥ أعوام، فزوجي كانت له علاقة محرمة أعلن توبته عنها قبل زواجنا، ولم يكن يعرف أنه مصاب إلا وقت اكتشاف المرض لدي، عندما طلب مني تحليل الدم في إحدى المستشفيات داخل المملكة لاحتمال إصابتي بمرض آخر، وهناك اكتشفوا إصابتي بالإيدز، وكم فجعت بذلك؟! وطلبوا من زوجي إجراء تحليل لاكتشاف ما إذا كان مصابًا، واكتشفوا ذلك وتفاهمنا أنا وزوجي كيف نقضي حياتنا دون أن يؤثر علينا المرض، ونحن الآن نعيش بشكل طبيعي ولم يزدنا ذلك إلا قربًا من الله، ولا يعرف أحد غيرنا بإصابتنا بالمرض، وكم تحزننا رؤية الأطفال التي طالما حلمنا بهم قبل الزواج.

* * *

طالبة (٢٥ عامًا).. تدرس في إحدى الجامعات في السعودية، ومصابة بمرض الإيدز منذ ٤ أعوام. تقول: كل ذلك بسبب حياة الاستهتار واللهو التي عشتها، ولم يكن لي ذنب فيها، بل ذنب أبي الذي دائمًا لا يلتفت إلي خاصة بعد وفاة أمي وزواجه من أخرى، لم يسألني يومًا أين تذهبين؟ ومن هم صديقاتك؟ وكيف تقضين يومك؟ كم تضرعت إليه أن يهتم

بي؟! تصدقون أنه الآن لا يعرف في أي عـام دراسي أنا! حتى بتُّ أعتقد أنه لا يتذكر أن له فتاة!

وتعرَّفت على شاب بل أكثر من شاب.. أخرج وأتنزه معهم.. وجدت الاهتـمام منهم حـتى وإن كان مـصطنعًا.. وفـعلت كل شيء مـحرم.. وتناولت المخدرات.. وذهبت، وسافرت معهم في كل أنحاء المملكة حتى أنتقل لي مـرض الإيدز، ولم أكن أعرف ذلك إلا عن طريـق فحص الدم في المستشفى عندمـا شعرت بتعب ووهن وضعف اعتـرى جسمي، وحتى الآن لا يعرف أبي عن مرضي شيئًـا، فقط يزورني أنا وإخوتي الصغار كل شهر مـرة من أجل إعطائنا مصاريفنا.. كم أتمنى أن أموت وتنتـهي حياتي لكني أخشى على أخواتي أن يكون مصيرهن كمصيري.. الحمد لله حمدًا كثيرًا.. اللهم عافنا في أبداننا وأوطاننا يا أرحم الراحمين..

* * *

تحايل عليه ليترك الفاحشة

اتصل أحد الأصدقاء على بزميل له، وهو يصغره بسنين عديدة.. اتصل قائلاً بأنه توجه إلى البحرين، ومارس الجنس مع فتاة روسية، ولكنه بعد الجماع بساعات شعر بحرقان وغثيان ودوخة في الرأس ويخشى أن يكون مصابًا بالإيدز.. قلت له بأن الحل عندي، وسوف نتوجه إلى أحد أصدقائي والذي يملك مستشفى خاص ليتم الكشف عليك، وأنا بصراحة أكذب عليه فليس عندي صديق يملك مستشفىً.. المهم توجهنا إلى مستشفى المواساة، وطلبت منه الانتظار بعيدًا عني، وتوجهت إلى الاستقبال، وأعطيتهم اسمًا مستعارًا وطلبت كشف الإيدز الخاص (حيث أن هناك كشفين أحدهم يستطيع اكتشاف الفيروس ولو كان له ساعة واحدة من دخوله الجسم).. بعد الكشف طلب الدكتور مراجعته بعد خمسة أيام؛ ليعطينا النتيجة.. بعد خمسة أيام قضاها صاحبنا في عذاب لا يعلم به غير الله.. اتصل بي يسألني عن النتيجة فقلت له: أنا آلان كنت أتحدث مع الدكتور.. قلت له: بأنك تحمل فيروز الإيدز وعليك بالرجوع إلى الله..

اعتزل أخونا العالم.. وانقطع في المسجد حتى أتيت إليه بعد عشرة أيام، وقد ساء حاله وبرزت عظامه، وأخبرته بأني أحببت أن أعطيه درسًا فقط، وأنه سليم معافىً.. فماذا تتوقع كان رد فعله.. بكاء لم أر مثله،

ثم قـبَّل رأسي عنوة أمـام النـاس، وها هو الآن بعـد ست سنوات إمـام وخطيب في أحد المساجد الكبيرة في مـدينة الدمام.. وأحيانًا كثيرة يذهب إلى مراقص البحرين وأحيـانًا الفنادق يدعو الشباب، سواء في الردهات أو في الشوارع.. فسبحان الهادي.

* * *

هل يوجد بيننا مثلها؟

يقول صاحب القصة وهي قصة عجيبة عن امرأة صابرة. يقول فيها: سافرت إلى مدينة جدة في مهمة رسمية وفي الطريق فوجئت بحادث سيارة، يبدو أنه وقع لتوّه، كنت أول من وصل إليه، أوقفت سيارتي، واندفعت مسرعًا إلى السيارة المصطدمة، تحسستها بحذر، نظرت إلى داخلها حدقت النظر، خفقات قلبي تنبض بشدة، ارتعشت يداي، تسمرت قدماي، خنقتني العبرة، ترقرقت عيناي بالدموع ثم أجهشت في البكاء، منظر وصورة تبعث الشجن.

كان قائد السيارة ملقى على مقعدها جثة هامدة، وقد شخص ببصره إلى السماء رافعًا سبابته، وقد فتر ثغره عن ابتسامة جميلة، ووجهه تحيط به لحية كثيفة كأنه الشمس في ضحاها والبدر في سناه، العجيب ـ والكلام ما يزال له ـ أن طفلته الصغيرة كانت ملقاة على ظهره محيطة بيديها على عنقه، ولقد لفظت أنفاسها وودعت الحياة.. لا إله إلا الله.. لم أرَ ميتة كمثل هذه الميتة طهرًا وسكينة ووقارًا، صورته وقد أشرقت شمس الاستقامة على محيّاه، منظر سبابته التي ماتت توحد الله، جمال ابتسامته التي فارق بها الحياة.. حلقت بي بعيدًا ففكرت في هذه الخاتمة الحسنة.. ازدحمت الأفكار في رأسي.. سؤال يتردد صداه في أعماقي يطرق بشدة: كيف سيكون رحيلي؟ على أي حال ستكون خاتمتي؟ يطرق بشدة يمزق

حجب الغفلة.. تنهمر دموع الخشية ويعلو صوت النحيب.. من رآني هناك ظن أني أعرف الرجل، أو أن لي به قرابة، كنت أبكي بكاء الثكالى، لم أكن أشعر بمن حولي، ازداد عجبي أي والله حين انساب صوتها يحمل برودة اليقين، لامس سمعي، ردّني إلى شعوري.. يا أخي! لا تبكِ عليه، إنه رجل صالح، هيا أخرجنا من هنا. وجزاك الله خيراً..

التفت إليها، فإذا مرأة تقبع في المقعد الخلفي من السيارة تضم إلى صدرها طفلين صغيرين، لم يُمسا بسوء ولم يصابا بأذى، كانت شامخة في حجابها شموخ الجبال، هادئة في مصابها هدوء النسيم، لا بكاء ولا صياح ولا عويل، أخرجناهم جميعًا من السيارة.

من رآني ورآها ظن أني صاحب المصيبة دونها، قالت لنا: وهي تتفقد حجابها وتستكمل حشمتها في ثبات الراضي بقضاء الله وقدره.. لو سمحتم احملوا زوجي إلى أقرب مستشفى، وسارعوا في إجراءات الغسل والدفن، واحملوني وطفلي إلى منزلنا، جزاكم الله خير الجزاء.

بادر بعض المحسنين إلى حمل الرجل وطفلته إلى أقرب مستشفى، ومن ثم إلى أقرب مقبرة بعد إخبار ذويه، وأما هي فقد عرضنا عليها أن تركب مع أحدنا إلى منزلها فردت في حياء وثبات، لا والله لا أركب إلا في سيارة فيها نساء، ثم انزوت عنّا جانبًا، وقد أمسكت بطفليها الصغيرين ريثما نجد بغيتها وتتحقق منيتها، استجبنا لرغبتها، أكبرنا موقفها، مرَّ الوقت طويلاً ونحن ننتظر على تلك الحال العصيبة في تلك الأرض الخلاء، وهي ثابتة ثبات الجبال، ساعتان كاملتان حتى مرَّت بنا سيارة فيها

رجل وامرأته، أوقفناه، وأخبرناه خبر هذه المرأة، وسألته أن يحملها إلى منزلها فلم يمانع، عدت إلى سيارتي وأنا أعجب من هذا الثبات العظيم، ثبات الرجل على دينه واستقامته في آخر لحظات الحياة، وأول طريق الآخرة، وثبات المرأة على حجابها وعفافها في أصعب وأحلك الظروف، ثم صبرها صبر الجبال . . إنه الإيمان !!

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

* * *

قصة طفلين مصريين في غزة للمشاركة في الانتفاضة

المركز الفلسطيني/ تمكن طفلان مصريان من الوصول إلى قطاع غزة، بعد أن نجحا في اجتياز الحدود المصرية الفلسطينية، على أمل مشاركة الشعب الفلسطيني جهاده وانتفاضته في مواجهة العدوان الصهيوني. وصل الطفلان: «محمد عبد السميع المنجد» (١٥ عامًا) من مدينة الإسكندرية، الواقعة على البحر المتوسط، و «محمد أحمد» (١٣ عامًا)، من مدينة الجيزة غربي القاهرة إلى حي السلام بمدينة رفح بعد منتصف ليلة ٨/ ٤/ ٢٠٠٢ في حالة إعياء شديد، وخوف من الوقوع في أيدي الجنود الصهاينة، يقول الحاج بركات وهو فلسطيني من رفح، ٥٥ عامًا، وهو الذي عثر على الطفلين: «وجدتهما في حالة يرثى لها، وقد بدا عليهما التعب الشديد، وطلبا مني المساعدة، وأخبراني بوجهتهما» ويضيف: «بمجرد أن أفصحا عن رغبتهما في الجهاد إلى جانب إخوانهما الفلسطينيين أخذت أقبل رأسيهما واصطحبتهما إلى منزلي حيث أطعمتهما»، ومضى يقول: «حكا لي الطفلان تفاصيل معاناتهما خلال رحلتهما الطويلة منذ الخروج من الإسكندرية والقاهرة، وحتى دخولهم إلى معبر رفح الحدودي، وما صاحبها من أهوال وعقبات.. لمست من الطفلين حبهما للجهاد والاستشهاد، واستعدادهما غير العادي لفداء فلسطين، ورفضهما

لحال العـجز العـربي التي دفعتـهمـا إلى اتخاذ القـرار بالدخول إلي أرض المعركة حتى لو كلفهما ذلك روحيهما»، واستطرد الحاج بركات قائلاً: «إن الطفل محـمد المنجد قال: إنه قـرر الانخراط في الجهـاد بفلسطين بعد أن تأثر بشدة بالمشاهد التي أذاعها التلفـزيون حول معاناة الأطفال الفلسطينين، خاصة استشهاد الطفلين: مـحمد الدرة، وإيمان حجو، وأضاف أنه اضطر للعمل في عـدة أماكن لتدبير مصـروفات رحلته الطويلة. أما الآخـر فقال للحاج بركات: «أريد أن أفـجّر نفسي، وأن ألتحق بأشبـال حماس.. أود أن أحرق الدنيا تحت أقدام الصهـاينة.. فلسطين والقدس غالية علينا.. أنا سمعت عن سعيد الحوتري وعز الدين المصري، والمهندس يحيى عياش.

وكشف الطفل الصغـير للعائلة الفلسطينية التـي آوته أنه عمل في مسح زجاج السيارات في أحد جراجات القـاهرة ليوفر مصروفات الرحلة، وأنه حاول الدخـول للأراضي الفلسطينيـة مرتين، لكن نقطـة حدودية مصـرية قرب العـريش ضبطتـه وأعادته إلى القـاهرة، مضـيفًـا: ولكنني لم أيأس وكررت المحاولة حتى وصلت إلى فلسطين.

* * *

قصة شفاء فتاة من بثور في وجهها

حكي أنه كانت فتاة طالبة بإحدى المدارس، وكانت تعاني من بثور وسواد في وجهها، وكانت محرجة أمام زميلاتها ومعلماتها، وكانت منطوية على نفسها، ودائمة التفكير في هذه المسألة، وفي إحدى الأيام استدعتها إحدى معلماتها وقالت لها: لدي حل لمشكلتك ففرحت كثيراً وهي بين مصدقة ومكذبة؛ لأنها ذهبت إلي كثير من الأطباء والاستشاريين، ولم تخرج منهم بحل لمشكلتها.

فاستعجلت مدرستها بالحل، فأخبرتها المدرسة بطريقة العلاج، ونصحتها بأن هذا العلاج لابد أن تستمر عليه حتى يزول ما بها! وبعد أسبوع من العلاج، بدأت تلك البثور والسواد بالاختفاء، وقالت لها معلمتها: استمري عليه، وسوف تجدين أفضل النتائج واستمرت به لمدة شهر.

فها هي تمشي بين زميلاتها بكل ثقة، والكل ينظر إليها باستغراب.. أين تلك البثور؟ أين ذلك السواد؟

فالتفَّ حولها زميلاتها وبعض المدرسات فسألنها عن سبب شفائها.

فقالت: لقد داومت على صلاة الضحى، وقيام الليل، طوال تلك الفترة، وهذه هي النتيجة، فوالله الذي بيده روحي لن أتركها ما حييت.

فسبحان الله، علاج كل ما نحن فيه بالعبادة، ونحن فيه غفلة.

فمتى نتوب؟ ومتى نحاسب أنفسنا؟

أب يعق ولده

هذه القصة نشرت في مجلة دار الملاحظة العدد الثاني. بعنوان «أب للبيع» يروي أحد المدرسين في دار الملاحظة ـ وهي دار مخصصة للأحداث الذين يرتكبون بعض الجرائم الأخلاقية أو غيرها من الجرائم ـ يقول:

من أعجب الحالات التي قابلتنا في ميدان العمل الاجتماعي حالة «حدث» كان موجودًا في قضية (أخلاقية) فبعد انتهاء مدته في الدار قمت بإبلاغه بانتهائها، وأنه سيطلق سراحه في الأسبوع القادم ومطلوب منه إبلاغ أهله في الزيارة لإحضار الكفالة اللازمة.. فانخرط الحدث في بكاء شديد، ظننت في البداية أنها دموع الفرح لخروجه من الدا،ر ولكن استمرار البكاء، وتعبيرات الحزن والقلق على وجهه جعلتني أنتحي به بعيدًا عن إخوانه وأسأله عن سبب ذلك.. فإذا به يقول: لا أريد أن أطلع من الدار.. أرجو إبقائي هنا!!

ماذا تقول؟! قلتها وأنا في دهشة.. قال أريد أن أبقى في الدار فالدار بالرغم مما بها من قيود لحريتي، فهي أفضل من بيت أبي!! قلت له: لا شكَّ أنك مخطئ.. فلا يوجد مكان أفضل من منزل الأسرة.. رد قائلاً: اسمع قصتي واحكم بنفسك. قلت: هات ما عندك! بدأ الحدث ابن الثالثة عشرة يروي قصته فقال: توفيت والدتي منذ حوالي ثمانية أعوام، وتركتني أنا وشقيقة أصغر مني بعامين، وبعد وفاتها بعدة أشهر أبلغني أبي أنه

سيتزوج.. وستكون لي خالة في مقام أمي.. لم أستوعب جيدًا لصغر سني هذا الكلام.. وبعد حوالي أسبوع أقام والدي حفل عرس كبير وجاءت زوجة أبي إلى المنزل، عاملتنا خالتي في بداية الأمر معاملة طيبة، ثم بدأت معاملتها تتغير بالتدريج فكانت دائمة الشكوى لوالدي كلما عاد إلى المنزل من عمله.. فتقول له: ابنك عمل كذا، وابنتك فعلت كذا.. ولم يكن أبي الذي يعود مرهقًا من عمله لديه استعداد لسماع المشكلات وحلها كما أن صغر سننا، وضعف قدرتنا أنا وشقيقتي على التعبير، لم يكن يسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا أمام القصص التي تختلقها زوجة أبي، وتجيد حبكها وروايتها. في البداية كان أبي ينصحنا وأحيانًا يوبخنا.. ثم تطور الأمر مع استمرار القصص والشكاوى إلى الضرب والسباب والإهانات، وازداد الأمر سوءًا بعد أن رزق أبي بثلاثة أولاد من زوجته.. وبمرور الأيام تحولت أنا وشقيقتي إلى خدم بالمنزل علينا أن نلبي طلبات خالتي وأبنائها فأنا مسئول عن شراء كل ما يحتاجه البيت من السوق وشقيقتي مسئولة عن التنظيف والعمل بالمطبخ، وكنا ننظر بحسد إلى أبناء أبي الذين يتمتعون بالحب والتدليل، وتستجاب رغباتهم وطلباتهم.. وكان أبي يشعر أنني أنا وشقيقتي عبء عليه وعلى سعادته، وأننا دائمًا نتسبب في تكدير جو البيت بما تقصه عليه زوجة أبي من قصص مختلقة عنًا.. وكان رد فعل أبي السباب الدائم لنا، ونعتنا بالأبناء العاقين، وأنه لن يرضى عنًا إلا إذا رضيت عنًا زوجته وأبناؤه.. كما أطلق علينا النعوت السيئة، وكان الجميع بالمنزل ينادوننا بها حتى كدنا ننسى أسماءنا الحقيقية.. وكنا محرومين من كل شيء - حتى المناسبات التي تدعى إليها

الأسرة ـ كنا نحـرم منها ولا نذهب معهـم، ونجلس وحدنا في الدار ننعي سـوء حظنا، وهناك حادثة لا أنسـاها حـدثت في الشتـاء الماضي. . فقـد أحسست بتـعب شديد في بطني وطلبت مني خالتي أن أخرج لشـراء خبز للعشـاء. . وكانت البرودة شـديدة، فقلت لها: إنني مـريض ولا أستطيع الخـروج الآن. . قـالت لأبي إنني أتمارض حـتى لا أقـوم بما هو مطلوب مني. . فانهـال أبي علي ضربًا وصفـعًا وركلاً، حـتى سقطت من المرض والإعياء، واضطروا إلى نقـلي إلى المستشفى عندما سـاءت حالتي ومكثت في المستشفى خـمسة أيام، وعلى الرغم من الألم والتعب فقد اسـتبشرت خيرًا بهذه الحادثة، وقلت: لعلها توقظ ضـمير أبي، وتجعله يراجع نفسه، إلا أنه للأسف استمـر على ما هـو عليه. . وبدأت بعد ذلك أعرف طريق الهـروب من المنزل. . والتقـطني بعض الشبـاب الأكـبر سنًا وأظهـروا لي بعض العطف الذي كنت في حاجة شديدة إليه. . ومن خلال هذه المشاعر المزيفة استطاعوا خداعي. . وانزلـقت معهم في الانحراف الأخلاقي، ولم أكن أدرك بشـاعة ذلك لصـغر سنـي وعدم إدراكي. . ثم قـبض علي في قضيـة أخلاقية، وأدخلت الدار، وعـرفت فيها مقـدار الخطأ الذي وقعت فيه، وأحمد الله على توبتي. .

فهل أنا على حق في بكائي وحزني وتمسكي بداركم أم لا؟!

وسكت بعد أن أثقل ضميـري بالحمل الذي ينوء بحمله الرجال، فكيف بطفل لم يبلغ مرحلة الـشباب؟! وتحيـرت في الرد عليه. . من الذي جنى على هذا الابن؟! ومن المسـؤول عن هذه المأسـاة؟! هل هي زوجـة الأب التي لم ترع الله في أبناء زوجـهـا؟ أم هو ذلك الأب الذي أنسـتـه زوجتـه

الجديدة عـاطفة الأبوة، وأبعـدته عن العدل، وجـعلت منه دميـة تحركـها بخيوط أكاذيبها وألاعيبها؟ وشرد خيالي بعيدًا وأنا أتخيل لو أن هناك سوقًا يختار فيه الأبناء الآباء الجيدين لدفع هـذا الحـدث كل ما يملكه ثمنًا لأب جيد ولكن.. كم يساوي مثل أبيه الحقيقي في مثل هذا السوق؟

* * *

الشفاء بعد المرض

كان هناك رجل يعيش مع زوجته عيشة هنيئة لا يكدرها شيء، وفي يوم من الأيام جاءت حية ودخلت المنزل، وعندما رآها أمسك بذنبها من أجل قتلها فانثنت عليه ونهشت يده، فانشلت يده ومضى على ذلك زمان طويل، فشلت اليد الأخرى لغير سبب يعرف، ثم جفَّت رجلاه، ثم عمي، ثم أصبح أخرسًا، وبقي على تلك الحال ملقى سنة كاملة لم تبق له جارحة صحيحة إلا سمعه، وهو طريح الفراش لا يستطيع الحركة، حتى أنه يقول: كنت أسقى وأنا ريان، وأُترك وأنا عطشان، وأُهمل وأنا جائع، وأطعم وأنا شبعان، فلما كان بعد سنة دخلت امرأة إلى زوجتي، فقالت: كيف أبو علي؟ فقالت لها زوجتي: لا حي فيرجى، ولا ميت فيسلى، فأقلقني ذلك، وآلمني ألمًا شديدًا، وبكيت أشد البكاء، وكنت في جميع تلك العلل والأمراض لا أجد ألمًا في جسمي، فلما كان في بقية ذلك اليوم ضرب على جسمي ضربًا عظيمًا، كاد يقتلني ولم أزل على تلك الحال فترة من الوقت، حتى سكن الألم قليلاً، فنمت فلما استيقظت من نومي وجدت إحدى يدي على صدري وقد كانت طول تلك الفترة بدون حركة فحاولت تحريكها فتحركت، ففرحت بذلك فرحًا شديدًا، وقوي طمعي في تفضل الله عزَّ وجلَّ علي بالعافية، فحركت الأخرى فتحرَّكت، وأخذت أحرك رجلي فتحرَّكت، فحاولت النهوض للقيام فأمكنني الله من ذلك، فقمت من الفراش الذي كنت مطروحًا عليه، فمشيت ألتمس

الحائط في الظلمة لأنه لم يكن هناك سراج إلى أن وقعت على الباب، وأنا لا أطمع في بصري فخرجت من البيت إلى صحن الدار، فرأيت السماء والكواكب تزهو، فكدت أموت فرحًا، وانطلق لساني بأن قلت: يا قديم الإحسان لك الحمد.

[هذه القصة ذكرها القاضي التنوخي في كتابه: «الفرج بعد الشدة»].

* * *

قصة إسلام جنية

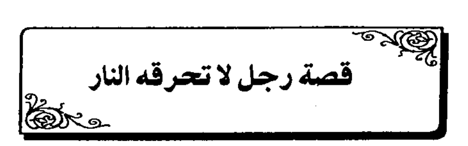
يقول أحد القـراء: جاءتني امرأة من إحدى المناطق مستندة على زوجها لا تكاد تقوى على السير، وأخبرني زوجها أنها مريضة منذ عشرين عامًا، تعاني من صداع وآلام متفاوتة وإغماءة في بعض الأحيان، فتحدثت إلى المرأة موجهًا إليها بعض الأسئلة، ومن خلال إجاباتها عليها بنيت فكرة عن هذه المرأة، وكان أبرز ما قالته أنها منذ عشرين عامًا وضعت في أحد الأيام الحناء في يديها، ثم دخلت عليها امرأة أعجبت بشكل اليدين المخضبة بالحناء، فتلفظت بكلمات إعجاب وإطراء، ومنذ تلك اللحظة وهي تعاني ما تعاني منه، فبدأت أقرأ على المرأة الرقية الشرعية، وما هي إلا لحظات، وأثناء القراءة بدأت المرأة ترتعش، وتنتفض، وتصيح، وتتحدث بكلام غير مفهوم، فعلمت أنها تلبست بجني، فأوقفت القراءة وبدأت التحدث إلى المرأة فنطقت على لسانها جنية تقول: إنها دخلت جسد المرأة منذ عشرين عامًا، فارتبطت المسائل هنا في ذهني، وسألت الجنية عن الكيفية التي دخلت بها جسد المرأة. فقالت: إنني كنت مترقبة لهذه المرأة، وعندما نظرت إليها امرأة أخرى منذ عشرين عامًا ولم تتبرك، انتهزت الفرصة، ودخلت المرأة، وتلبستها، ولو أنها تبركت لما استطعت دخولها.

وأضافت الجنية: وأصبحت أتعبها وأرهقها، ولقد ذهبت بي إلى عدة سحرة ومشعوذين ودجالين، وكلما خاطبني أحدهم وطلب مني الخروج

أظهرت له الاستجابة، ولكني أعود مرة ثانية إلى المرأة، وها هم يحضرونني إليك أخيراً.

قلت لها ملاطفًا: إن هذا الكلام الذي يقرأ عليك هو كلام الله والله سبحانه وتعالى إذا أمر أن تخرجي فسوف تخرجين صاغرة، وبعد مساجلات حول القرآن والإسلام أعلنت الجنية أنها لم تكن مسلمة، وأبدت رغبتها في الدخول إلى الإسلام.. فخاطبتها قائلا: أريد أن أعرف دليل إسلامك؟ فإذا كنت صادقة فيما قلت: فالمسلم لا يؤذي أخاه المسلم، ثم سمعتها تقول: إني خارجة، السلام عليكم ورحمة الله، ورفرفت قدم المرأة ثم أخذتها إغماءة خفيفة، وعادة ما تكون هذه الإغماءة عقب خروج الجني، واستبشرت خيراً، وبعد أن فاقت المرأة وقفت كأنما نشطت من قعال، وطلبت من زوجها أن تراجع عندي لفترة حتى أتأكد من خروج الجنية، وحضرت المرأة ست جلسات لم يظهر خلالها عليها شيء، حيث منَّ الله عليها بالشفاء والحمد لله فهو سبحانه الشافي من كل داء.

* * *



قصة رجل لا تحرقه النار

رجلٌ لا تحرقه النار قال بعض الصالحين: دخلت إلى مصر فوجدت حدادًا يخرج الحديد بيده من النار! ويقلبه على السندان.. ولا يجد لذلك ألمًا! فقلت في نفسي: هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار!

فدنوت منه وسلَّمت عليه، فرد عليَّ السَّلام. فقلت له: يا سيدي بالذي منَّ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لي!

فبكى وقال: والله يا أخي! ما أنا كما ظننت.

فقلت له: يا أخي إن هذا الذي تفعله لا يقدر عليه إلا الصالحون!

فقال: إن لهذا الأمر حديثًا عجبًا.

فقلت له: إن رأيت أن تعرفني به.

قال: نعم، كنت يومًا من الأيام جالسًا في هذا الدكان، إذ وقفت عليَّ امرأة لم أرَ قط أحسن منها وجهًا، فقالت: يا أخي هل عندك شيء لله! فلما نظرت إليها فُتنت بها، وقلت لها: هل لكِ أن تمضي معي إلى البيت وأدفع لكِ ما يكفيك، فنظرت إليَّ زمنًا طويلاً فذهبت، فغابت عني طويلاً ثم رجعت وقالت: يا أخي، لقد أحوجتني الضرورة إلى ما ذكرت!

قال: فقفلت الدكان ومضيت بها إلى البيت.

فقالت لي: يا هذا إن لي أطفالاً وقد تركتهم على فاقة شديدة! فإن

رأيت تعطيني شيئًا أذهب به إليهم. وأرجع إليك فافعل.

قال: فأخذت عليها العهود والمواثيق، ودفعت لها بعض الدراهم فمضت وغابت ساعة ثم رجعت، فدخلت بها إلى البيت وأغلقت الباب.

فقالت: لم فعلتَ هذا؟!

فقلت لها: خوفًا من الناس.

فقالت: ولم لا تخاف من رب الناس؟!

فقلت لها: إنه غفور رحيم، ثم تقدمت إليها فوجدتها تضطرب كما تضرب السعفة يوم الريح عاصف!! ودموعها تنحدر على خديها!!

فقلت لها: مما اضطرابك وبكاؤك؟!

فقالت: خوفًا من الله عزَّ وجلَّ!

ثم قالت لي: يا هذا، إن تركتني لله ضمنت لك أن الله لا يعذبك بالنار لا في الدنيا ولا في الآخرة!

قال: فقمت وأعطيتها جميع ما كان عندي، وقلت لها: يا هذه قد تركتك خوفًا من الله عزَّ وجلَّ.

قال: فلما فارقتني غلبتني عيني فنمت.. فرأيت امرأة لم أر قط أحسن منها وجهًا، وعلى رأسها تاج من الياقوت الأحمر، فقالت لي: جزاك الله عنَّا خيرًا، قلت لها: ومن أنت؟! قالت: أنا أم الصبية التي أتتك، وتركتها خوفًا من الله عزَّ وجلَّ لا أحرقك الله بالنار لا في الدنيا ولا في الآخرة، فقلت لها: عرفيني بها؟! ومن أي نسل يرحمك الله؟!

فقالت: هي من نسل رسول الله ﷺ، فتذكرت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، ثم أفقت من منامي ومن ذلك الوقت لم تعدُ عليَّ النار، وأرجو أن لا تعدو عليَّ في الآخرة..

[أوردها ابن الجوزي ص٢٢٠ في المواعظ والمجالس]

* * *

من قصص عقوق الوالدين

كانت هناك على ضفاف البحر جالسة على بساطها وبقربها «دلة» الشاي، تنظر إلى قرص الشمس وهو يغطس في الأفق لينقضي يوم من حياتها التي بلغت السبعين عامًا، ثم تنظر إلى البحر الذي تنعكس على مياهه أشعة الأفق الذهبية، وتأخذها روعة جماله، ولكنها لا تنسى كم بلع في جوفه من المآسي والقصص، ثم تعود إلى مكانها، فتتذكر حقيقة الحياة، وأنها تشابه البحر في كثير من جوانبه.. كانت تجلس قريبًا منها عائلة جاءت إلى البحر لتكسر روتين الحياة اليومية، ولتنسى شيئًا من ماكينة الحياة اليومية، وضوضائها، وما تسببه من التوترات النفسية، لاحظها بعض أفراد العائلة يقضون وقتهم، ويتناولون أطراف الحديث بأمور شتى، ويأكلون طعامهم، حتى جاوزت الساعة بعد منتصف الليل، والسيدة العجوز ما زالت جالسة وحدها تحتسي الشاي وتنظر إلى البحر، لم يتمالك أحدهم نفسه: (حجية هل تريدين أن نوصلك إلى مكان؟ عسى ما شر لا نرى عندك أحد؟)

قالت: لا أنا أنتظر ابني!!

فقال لها: لكن الوقت متأخر، والساعة الآن الواحدة والنصف، بعد منتصف الليل؟

قالت: لا أدري، ولكنه ترك بيدي ورقة.

أخذها ذلك الرجال وقرأها، وإذا بها: «على كل من يقرأ هذه الورقة إرسال هذه السيدة إلى دار الرعاية للمسنين»، صعق الجميع عند معرفتهم بمأساة هذه العجوز التي كانت يومًا من الأيام مرضعة وساهرة وحاملة لذلك العاق، ثم يرميها وهي في خريف حياتها على البحر كما يرمي البحر زبده على شاطئه.

ولنأخذ نحن العبرة من هذا.. ولنعلم أن مصير من يفعل هذا المثل.. وأن علينا تربية أبنائنا التربية الصالحة لنضمن من خلالها برَّهم في الحياة، والدعاء في الممات..

[الشيخ عبد الحميد جاسم.. قصص من الحياة]

* * *

مارلبورو.. القصة التي لم تنشر

ارتبط التدخين في أذهان الشباب بالنكهة والمتعة والرومانسية وإعلان التمرد، وشخصية مارلبورو الإعلانية الشهيرة (ديفيد ماكلين) راسخة في أذهان كثير من المدخنين، وهو يوقد سيجارته من جذوة، أو وهو ممتط صهوة جواد وتحته عبارة: «تعال حيث النكهة»، لقد بلغ من شهرته أن أطلق عليه لقب: «رجل المارلبورو».

وكان تأثيره كبيرًا لدرجة أن ستين بالمائة من المدخنين الجدد يدخنون مارلبور، وهناك آخرون في مجال دعايات التدخين ممن لا يماثلونه شهرة.. هذا الجزء من القصة معروف لدى القراء فما هو الجديد في الموضوع؟

الجديد أن رجل المارلبورو.. سقط ضحية التدخين بسرطان الرئة، وأمضى بقية أيامه تحت جهاز التنفس إلى أن وافاه الأجمل، ولقد لازمه أخوه خلال أيامه الأخيرة، وعانى كثيرًا من تردي حالة أخيه ومعاناته مع المرض، فقرر أن يبذل كل جهد في القضاء على ظاهرة التدخين لكي لا تكرر مأساة أخيه فقالم بالتعاون مع الجمعية الأمريكية للسرطان بحملة توعية كبيرة للتحذير من مضار التدخين وكان إحدى دعاماتهم الدعائية في ذلك هي قصة رجل المارلبورو الشهير. ونهايته المأساوية.

وحصلت الحملات التوعوية والقضائية في الغرب، نتج عنها انخفاض كبير في سوق السجائر لديهم فقامت شركات التبغ بتكثيف دعاياتها لدى

دول العالم الثالث، الأقل وعيًا، وحققت ارتفاعًـا في المبيعات عوضًا عمًا فقدته في السوق الغربية، وهكذا فـبينما لا تزال تطل علينا دعاية التدخين لرجل المارلبورو وغيـره تدعونا إلى مشاركتهم النكهـة. تبرز لديهم صورته كضحية للتدخين، وإحدى أهم وسائل التوعية لأضراره.

* * *

ترك الحرام فخرج من جسده المسك

كان هناك شاب يبيع البز (القماش)، ويضعه على ظهره، ويطوف بالبيوت، ويسمونه (فرقنا) وكان مستقيم الأعضاء، جميل الهيئة، من رآه أحبه لما حباه الله من جمال ووسامة زائدة على الآخرين.

وفي يوم من الأيام وهو يمر بالشوارع والأزقة والبيوت رافعًا صوته: «فرقنا» إذا أبصرته امرأة فنادته، فجاء إليها، وأمرته بالدخول إلى داخل البيت، وأعجبت به وأحبته حبًا شديدًا، وقالت له: إنني لم أدعوك لأشتري منك.. وإنما دعوتك من أجل محبتي لك، ولا يوجد في الدار أحد، ودعته إلى نفسها، فذكرها بالله، وخوفها من أليم عقابه.. ولكن دون جدوى.. فما يزيدها ذلك إلا إصرارًا.. وأحب شيء إلى الإنسان ما مُنع.. فلما رأته ممتنعًا من الحرام قالت له: إذا لم تفعل ما آمرك به صحت في الناس وقلت لهم: دخل داري ويريد أن ينال من عفتي، وسوف يصدق الناس كلامي؛ لأنك داخل بيتي.. فلما رأى إصرارها على الإثم والعدوان. قال لها: هل تسمحين لي بالدخول إلى الحمام من أجل النظافة، ففرحت بما قال فرحًا شديدًا.. وظنت أنه قد وافق على المطلوب.. فقالت: وكيف لا يا حبيبي وقرة عيني.. إن هذا لشيء عظيم.. ودخل الحمام وجسده يرتعش من الخوف والوقوع في

وحل المعصية.. فالنساء حبائل الشيطان، وما خلى رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما.. يا إلهي ماذا أعمل؟ دلني يا دليل الحائرين..

وفجأة جاءت في ذهنه فكرة. فقال: إنني أعلم جيدًا أن: من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله. وأعلم: أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه.. ورب شوة تورث ندمًا إلى آخر العمر.. وماذا سأجني من هذه المعصية غير أن الله سيرفع من قلبي نور الإيمان ولذته؟ لن أفعل الحرام ..

ولكن ماذا سأفعل؟ هل أرمي نفسي من النافذة لا أستطيع ذلك.. فإنها مغلقة جدًا ويصعب فتحها.. إذًا سألطخ جسدي بهذه القاذورات والأوساخ، فلعلها إذا رأتني على هذه الحال تركتني وشأني.. وفعلاً صمم على ذلك الفعل الذي تتقزز منه النفوس.. مع أنه يخرج من النفوس!

ثم بكى وقال: رباه! إلهي وسيدي! خوفك جعلني أعمل هذا العمل! فاخلف علي خيرًا.. وخرج من الحمام!!

فلما رأته صاحت به: اخرج يا مجنون! فخرج خائفًا يترقب من الناس وكلامهم وماذا سيقولون عنه.. وأخذ متاعه والناس يضحكون عليه في الشوارع حتى وصل إلى بيته...

وهناك تنفس الصعداء وخلع ثيابه، ودخل الحمام واغتسل غسلاً حسنًا ثم ماذا!!

هل يترك الله عبده ووليه هكذا.. لا أيها الأحباب.. فعندما خرج من

الحمام عـوضه الله شيئًـا عظيمًا بقي ي جسـده حتى فارق الحيـاة وما بعد الحياة! لقـد أعطاه الله سبحانه رائحـة عطرية زكية فواحـة.. كعطر المسك تخرج من جـسده.. يشمهـا الناس على بعدة عدة أمتـار.. وأصبح ذلك لقبًا له (المسكي).

فقد كان المسك يخرج من جـسده.. وعوضه الله بدلاً من تلك الرائحة التي ذهبت في لحظات، رائحـة بقيت مدة الوقت.. وعندمـا مات ووضع في قبره.. كتبوا على قبره: «هذا قبر المسكي» وقد رأيته.. في الشام!!

* * *

وإذا بشر أحدهم بالأنثى

كان يريد مولودًا ذكرًا في بادئ الأمر، ولم يخبر زوجته بذلك عندما كانت حاملاً، وبعد فترة الحمل ولدت بنتًا، قبل الزوج بذلك، ورضى بحكم أنه أول مولود، ولكن كانت الزوجة المسكينة ترى أن زوجها غير راض بذلك، وأخذت تصبر وتتعهد له بأنه في المرة القادمة سوف يكون ذكرًا، وهي مسكينة لا تعرف المكتوب والقدر، ولكن إرضاء لزوجها لأنها تحبه، فأخذ ذلك الزوج يتذمر ويضجر عندما عرفت زوجته بأنه يريد ذكرًا.. بعد حين حملت الزوجة وهي تحمل الخوف والاكتئاب من أن يكون الجنين بنتًا، فما زالت تعاني من الخوف والقلق الدائم تلك المسكينة لم تذق طعم النوم.. وعندما اقترب موعد الولادة أخذ الزوج يهدد زوجته بأن تنجب ذكرًا وإلا سوف يكون مصيرها الطلاق، (يالله ما ذنبها! كل شيء بيد الله)!.

ولدت الزوجة بنتًا، وعندما أراد أن يخرجها من المستشفى؛ قام يهدد ويعترض وقال: اذهبي...!! أخذت تلك المسكينة تبكي ولكن إلى الله المشتكى، لكن الأهل كان لهم دور في اقناع ذلك الجاهل، فرجعت تلك المسكينة إلى زوجها وبنفس الطريقة أخذت تصبر، وتجعله يرضى بالمكتوب، فقال: للمرة الأخيرة ولن ترجعي أبدًا إليَّ...!

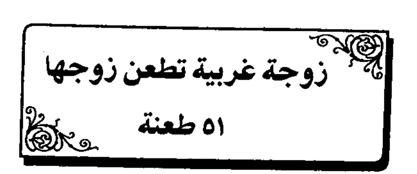
فحملت الزوجة للمرة الثالثة.. وجاء ذلك اليوم المشهود ذلك اليوم

الذي يريد من عباده أن يعرف أنه على كل شيء قدير وهو الذي يعطي ويأخذ ويهب ذكورًا وإناثًا (سبحانه جلّ شأنه) ولدت الزوجة ذكرًا جميلاً أخذت الابتسامة تعلو على محيا الزوجين وكاد الزوج أن يطير من الفرح ولكن. . . !!

المولود اتضح أنه لا يسمع، ولا يتكلم، وشبَّ الولد، فأصبح عمره الآن تسع سنوات؛ لكن لا تنفع معه أي شيء من الوسائل التعليمية كي يعيش بيننا؛ لأنه مرضه صعب جدًا جدًا، والزوج يرى ابنه كأنه وجوده مثل عدمه هنا. . علم أن الله كان له بالمرصاد، وأنه ظلم تلك الزوجة! ولكن بعد ماذا ؟!

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩].

* * *



زوجة غربية تطعن زوجها
٥١ طعنة

إن الغـرب وما يعـيشـه من انتكاس في الفطرة، وبعـد عن الفضـيلة، وإنغماس في الرذيلة، وعيش في الكوارث والنكبـات والقتل والتشريد، لا تزال هناك أقلام وحناجـر تنادي بالتقدم والرقي على خطى الدول الغـربية الكافرة الحاقدة، وكأني بهم ينظرون إلى تلك الحضارة بمنظار الشهوة فقط.

ولقد وقعت عيني على صورة من صور تلك الحضارة الغربية الكاذبة:

تقول القصة:

أقدمت (مونيكا ٣٨ عامًا) من ولاية سكسونيا السفلى في ألمانيا على قتل زوجهـا (ديتليف ٣٥ عامًـا) بطعنه ٥١ طعنة ومع ذلك برأتها المحـكمة مما أثار موجة من الإعتراض من مدينة أولزت حيث كان يعيش الزوجان.

تزوجت «مـونيكا» من «ديتليف» عـام ١٩٩٧م رغم معـرفتـها أنه كـان يضـرب صديقـة له تعيش مـعه، وبـعد شـهرين من الزواج بدأت تنهـال الصفعات على «مونيكا» واستمر الأمر حتى بعد إنجاب ابنهما «إلكسندر»، حتى اضطرت الزوجة إلى الهرب، إلا أنها عادت مجددًا.

في آخر عام ١٩٩٩ أخـبر «ديتليف» زوجته بأنه اغتصب ابنتـها الكبرى ذات الخمسة عشر عامًا (ربيبته)، ونشبت بينهما معركة استلت الزوجة على أثرها سكينًا من المطبخ، وانهـالت على زوجها الثـمل، بثلاث طعنات في

صدره، كانت كافية بأن يسقط، وعندما وقف محاولاً ضربها عاجلته بـ ٤٨ طعنة أخرى أسكتته عن الحراك.

القاضي رأى فعل «مونيكا» دفاعًا عن النفس، وأسقط التهمة عنها، لكن الإدعاء طالب بالاستئناف وحجته: (لا يجوز أن يواجه الإنسان الصفعات بالطعنات).

* * *

قصة ماء زمزم
وأنه منخفض عن سطح البحر

قال أحد الأطباء في عام ١٩٧١م إن ماء زمزم غير صالح للشرب، استنادًا إلى أن موقع الكعبة المشرفة منخفض عن سطح البحر ويوجد في منتصف مكة، لابد أن مياه الصرف الصحي تتجمع في بئر زمزم ما إن وصل ذلك إلى علم الملك فيصل يرحمه الله حتى أصدر أوامره بالتحقيق في هذا الموضوع، وتقرر إرسال عينات من ماء زمزم إلى معامل أوروبية لإثبات مدى صلاحيته للشرب.. ويقول المهندس الكميائي: معين الدين أحمد، الذي كان يعمل لدى وزارة الزراعة والموارد المائية السعودية في ذلك الحين، أنه تم اختياره لجمع تلك العينات.. وكانت تلك أول مرة تقع فيها عيناه على البئر التي تنبع منها تلك المياه، وعندما رآها لم يكن من السهل عليه أن يصدق أن بركة مياه صغيرة لا يتجاوز طولها ١٨ قدمًا وعرضها ١٤ قدمًا، توفر ملايين الجالونات من المياه كل سنة للحجاج منذ حفرت من عهد إبراهيم عليه السلام.. وبدأ معين الدين عمله بقياس أبعاد البئر، ثم طلب رؤية عمق المياه، فبادر رجل بالاغتسال، ثم نزل البركة، ليصل ارتفاع المياه إلى كتفيه، وأخذ يتنقل من ناحية لأخرى في البركة، بحثًا عن أي مدخل تأتي منه المياه إليها، غير أنه لم يجد شيئًا.. وهنا خطرت لمعين الدين فكرة يمكن أن تساعد في معرفة مصدر المياه، وهي

شفط المياه بسرعة باستخدام مضخة ضخمة كانت موجودة في الموقع لنقل مياه زمزم إلى الخزانات، بحيث ينخفض مستوى المياه بما يتيح له رؤية مصدرها، غير أنه لم يتمكن من ملاحظة شيء خلال فترة الشفط، فطلب من مساعده أن ينزل إلى الماء مرة أخرى، وهنا شعر الرجل بالرمال تتحرك تحت قدميه في جميع أنحاء البئر أثناء شفط المياه، فيما تنبع منه مياه جديدة لتحل محلها، وكانت تلك المياه تنبع بنفس معدل سحب المياه الذي تحدثه المضخة، بحيث أن مستوى الماء في البئر لم يتأثر إطلاقًا بالمضخة..
وهنا قام معين الدين بأخذ العينات التي سيتم إرسالها إلى المعامل الأوروبية، وقبل مغادرته مكة استفسر من السلطات عن الآبار الأخرى المحيطة بمكة، فأخبروه بأن معظمها جافة، وجاءت نتائج التحليل التي أجريت في المعامل الأوروبية، ومعامل وزارة الزراعة والموارد المائية السعودية متطابقة، فالفارق بين مياه زمزم وغيرها من مياه مدينة مكة كان في نسبة أملاح الكالسيوم والمغنسيوم، ولعل هذا هو السبب في أن مياه زمزم تنعش الحجاج المنهكين.. ولكن الأهم من ذلك هو أن مياه زمزم تحتوي على مركبات الفلور التي تعمل على إبادة الجراثيم!!

وأفادت نتائج التحاليل التي أجريت في المعامل الأوروبية أن المياه صالحة للشرب.

ويجدر بنا أن نشير أيضًا أن بئر زمزم لم تجف أبدًا منذ مئات السنين، وأنها دائمًا كانت توفي بالكميات المطلوبة من المياه للحجاج، وأن صلاحيتها للشرب تعتبر أمرًا معترفًا به على مستوى العالم نظرًا لقيام

الحجاج من مختلف أنحاء العالم على مدى مئات السنين بشرب تلك المياه المنعشة والاستمتاع بها. . وهذه المياه طبيعية تمامًا ولا يتم معالجتها أو إضافة الكلور إليها، كما أنه عادة ما تنمو الفطريات والنباتات في الآبار، مما يسبب اختلاف طعم المياه ورائحتها. . أما بئر زمزم فلا تنموا فيها أية فطريات أو نباتات. . فسبحان الله رب العالمين.

* * *

نعم، هكذا تعلمت الزنا؟!

نعم، هكذا تعلمت الزنا قصة واقعية عن شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين سنة، يسردها أحد الإخوة للعبرة والعظة، وليس من باب الغيبة والفضيحة حتى يفكر العاقل بحالة أمتنا اليوم..

تدور أحداث هذه القصة أن شابًا تعرف عليه صاحب القصة في السيارة مع أحد الأصدقاء فيقول: كانت رحلتنا تستغرق ٣ ساعات.. والذي أثارني وجعل جعبتي تمتلئ هو أنه في كل خمس دقائق يرن هاتف الشخص.. وكانت توقعت أن المتصلين كلهن بناتٌ.. بعدها نزعت وجه الخجل.. وقلت له: أخي الفاضل: ممكن أن نتكلم عن حياتك بعض الوقت.. فلم يمانع.. وبدأ يسرد مغامراته في الحياة، وكان أغلبها قصصًا غرامية مع الفتيات، يقول لي: تعرفت على كل جنسيات العالم، وهو صادق لأن صديقي أخبرني وأكد لي ذلك.. قلت له: وما نهاية الأمر؟! قال بكل جرأة ووقاحة: الزنا الزنا!

هنا توقفت برهة بسيطة.. فسألني لم سكت يا...؟ سألته: متى أول مرة زنيت؟ هنا نظر في وجهه ورأيته تغير الوجه ودمعت العين، فأحسست أن وراء الانفعالات أمر جلل! قلت له إذا كان السؤال محرجًا فلا داعي للإجابة!! قال: لا، بصوت مسموع هزَّ أجزاء السيارة.. بدأ يسرد القصة وهو يبكي وأنا وصاحبي مستغربين من هذا الأمر!!

قال: يوم كان عمري ١٠ سنوات كنت أعيش في غرفة مع الخادمة، وفي ليلة من الليالي أحسست بأنها تقترب مني، وأنا لا أدرك ماذا تفعل حين ذاك، وفي كل ليلة وربما تكذبوني لو قلت لكم استمرت معي ٤ سنوات بعدها، فقهت الأمر وفي كل ليلة كانت تأتي بخادمة من خدم الجيران.. بعدها أصبحت ذئب بشري لا يعرف الرحمة.. كنت لا أترك يومًا إلا وزنيت فيه.

وهو يبكي قال بصوت مسموع هزَّ السيارة أكثر من ذي قبل.. هنا أنا وصديقي أجهشنا في البكاء: نعم، هكذا تعلمت الزنا... تعلمته من خادمة خادمة. أصبحت السيارة ميتم. قلت له: عليك بالدعاء والالتزام الحق وتذكر النار، وتذكر الجنة، والحور العين، وأوصيته بالزواج!!

* * *

الفهارس